مسجد الفارس

مسجد عبدالعزيز الراشد
ضاحية السهم

مختصر
تفسير الفاتحة وجزء عمّ

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

اختصره :

محمد بن حسن الملا الجفيري

إمام وخطيب مسجد عبدالعزيز الراشد - السلام ق ٤

المقدمة	٥
الفاتحة	١١
النبأ	١٤
النازعات	٢٠
عبس	٢٦
التكوير	٣٠
الانفطار	٣٤
المطففين	٣٦
الانشقاق	٤٠
البروج	٤٤
الطارق	٤٩
الأعلى	٥٢
الغاشية	٥٦
الفجر	٦١
البلد	٦٧
الشمس	٧٠
الليل	٧٢
الضحى	٧٥
الشرح	٧٧
التين	٧٩
العلق	٨٠
القدر	٨٥
البينة	٨٦
الزلزلة	٨٩
العاديات	٩٠
القارعة	٩٢
التكاثر	٩٤
العصر	٩٦
الهمزة	٩٧
الفيل	٩٩
قريش	١٠١
الماعون	١٠٢
الكوثر	١٠٤
الكافرون	١٠٦
النصر	١٠٦
المسد	١٠٨
الإخلاص	١١٠
الفلق	١١١
الناس	١١٢
الختام	١١٤
المحتويات	١١٧

مُختصَر

تفسير الفاتحة وجزء عمّ

حقوق الطبع محفوظة لمختصر الكتاب
(إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه بالمجان بعد إبلاغ المُخْتَصِر)

الطبعة الأولى
رمضان ١٤٣٥هـ / يوليو ٢٠١٤م

مختصر
تفسير الفاتحة وجزء عم

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

اختصره :
محمد بن حسن الملا الجفيري
إمام وخطيب مسجد عبد العزيز الراشد - السلام ق٤

مُقَدِّمَة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله .. وعلى آله وصحبه ..
أما بعد :

فقد بين اللَّهُ جلَّ وعَلَا في كثير من آياته أنه أنزل القرآن العظيم هدى للناس ونورا وشفاء. قال تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة : ١٥-١٦]. وقال جل ذكره : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس : ٥٧].

ومما تُقِرُّ به العقول، وتَقَرُّ به النفوس أن نعم الله جل وعلا على خلقه لا يحصيها عادٌّ، ولا يحفظها جهبذ ولو أكثر الترداد، إلا أن القرآن بعد الإيمان هو سيد النعم وهرمها، وتأمل هذه اللطيفة في خاتمة سورة الآلاء لتفهمها، أعني سورة الرحمن، فقد افتتحها الله تعالى بواحد من أعظم أسمائه الحسنى وأكثرها رقة (الرحمن) المتضمن صفة الرحمة، ثم ذكر نعمه على خلقه من الخلق والعلم والبيان، والسماء وما فيها من شمس ونجم، والأرض وما فيها من نبات وفواكه، والبحر وما يحويه من (لؤلؤ) ومرجان وما فيه من سفن، ثم ختم بالجنان لمن خاف مقام الرحمن، إلا أنه قدم على كل تلك النعم ذِكْرَ نعمة القرآن، فقال : ﴿۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ مما يدل على أن أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا معاشر

المؤمنين نعمة القرآن، ولعل هذا سبب وصفه بـ (القرآن العظيم). وأن الأخذ بالقرآن والتمسك به من أعظم أسباب نيل رحمة الله، وقد قال تعالى على سبيل التنصيص على ذلك: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولعل لهذا وصف بـ (القرآن الكريم).

إذا علم هذا، فإن الأخذ بالقرآن في حق كل مسلم ينبغي أن يتكامل وفق أشكاله الأربعة التي يريدها الله منا ويحبها ويرضاها، وهي:

(١) قراءته:

فقد ندب جل ذكره في آيات عديدة إلى قراءة كلامه وترديده، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ...﴾ وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ وقال: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾. وحق التلاوة لا تكون إلا بإقامة حروفه وحدوده، وهو ما تحققه الأمور الثلاثة المتبقية:

(٢) تدبره:

فأمر جل وعلا في غير ما موضع بتدبر كلامه، لأنه لا يمكن معرفة مراد الله في خطابه وامتثاله إلا بفهمه وتدبره، قال ربنا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾، وقد عرض الله بمن يقرأ ما لا يفهم بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ أي: إلا قراءة.

(٣) العمل به والتأدب بآدابه:

وهو الغاية العظمى من إنزاله ومخاطبة الناس به، وهو ثمرة صحيحة من ثمرات قراءته وتدبره وتعظيمه، فمهما أودع الواحد منا عشرات الآيات والسور في صدره أو جعل القرآن في درج سيارته أو

على طاولة مكتبه أو في مكتبة منزله، بل حتى لو قرأه أو استمع إليه، فلن ينتفع بشيء من ذلك ما لم يعمل بما خاطبه الله به من الأوامر والنواهي. وقد ذم الله من كانت هذه حاله فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾، **وقد قيل:**

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

(٤) نشره والدعوة إليه:

كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، لكن هذا لا يكون إلا بعد تحقيق التناسق بين الحال والمقال، والمظهر والمخبر، وذلك بفهمه وتدبره والعمل به قبل الدعوة إلى ما فيه، كما قيل:

مواعظ الواعظ لن تُقبلَ حتى يعيها قلبه أولا

ولما كان العلم بالشيء والعمل به لا يكون جملة، كما قيل: (من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة)، وإنما يكون وفق سنن الله في التدرج والترسل[1]، وقع الاختيار على «تفسير جزء عم»، - وهو الجزء الذي يحفظ غالب الناس كثيرا من سوره ويرددونها في الصلوات فرضها ونفلها- وقع الاختيار لتقريب مضامين سوره ومعاني كلماته للنفوس بحيث يحملها على استشعار الآيات وتدبر معناها والانتفاع بما فيها من حكم وعبر، وتأديب وتوجيه.

ولما كان للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيرٌ

(١) وقد كان السلف رحمهم الله لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، وهذا مشهور عنهم.

ميسرٌ حسن الترتيب سهل الألفاظ واضح المعنى[١]، رأيت أن أساهم بتقريبه للناس عامة بالعمل على اختصاره، والاقتصار على ما يوضح المراد من الآيات، وحذف التفصيلات النحوية والإعرابية والاختلافات التفسيرية[٢] والاستطرادات ووجوه القراءات ومعانيها وتوجيهات الشيخ ونصائحه ونظائر الآيات والدعاء في ختام تفسير السور، وتخريجات الأحاديث، إذ إن غالب ما ذكره الشيخ صحيحٌ أو حسنٌ، وأكثرها في الصحيحين أو أحدهما، فخرج الكتاب صغير الحجم وافي المقصود محققا للهدف الذي كنت أصبو إليه إن شاء الله، وجميعه من كلام الشيخ ابن عثيمين إلا ما اقتضاه مقام الاختصار من زيادة حروف ووضع أدوات الربط بين الجمل، وإصلاح بعض الأخطاء المطبعية التي وقفت عليها في الأصل - وهي قليلة جدا-، أو اختصار الكلام الطويل الذي ساقه الشيخ على سبيل الأمثلة بعبارة من كلمتين أو ثلاث من عندي تدل على المثال، أو حذف أدلة المسائل والأقوال والاقتصار على مضمونها بوضع عبارة (كما في الحديث) ونحو ذلك، وقد اقتضى المقام- أحيانا - التصرف في كلام الشيخ بالتقديم والتأخير وربما نقلت بعض الفوائد المرتبطة بالآية في الحاشية ، مميزا كلامي بعبارة (المُختصر) وكلام الشيخ بعبارة (قاله الشيخ)[٣].

وهذا المختصر وإن كان نافعا من جهة تفهم معاني الآيات

---

(١) وهذه سمة مطردة في جميع مؤلفات الشيخ وتسجيلاته، من فضل الله عليه وعلى الناس.

(٢) إلا الخلافات التي جمع بينها الشيخ وعدها من قبيل اختلاف التنوع فأبقيتها.

(٣) وقد أخالف في الالتزام بهذا المنهج لأمر لا يخلو من فائدة إن شاء الله.

والكلمات، واستشعار مضمونها وعِبَرِها، إلا أنه لا يغني عن الأصل، إذ المحذوف فوائد علمية ودرر تفسيرية لا غنى لطالب العلم عنها.

سائلا المولى جل ذكره أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يجعله سببا لفهم كتابه، وَمَعينا مُعينا على امتثاله، وفي النية طباعة اختصار تفسير الشيخ لسورة الكهف لحاجة عامة الناس إليه وخاصة في يوم الجمعة[1]، والله الموفق.

وكتبه مختصر الكتاب
محمد بن حسن الملا الجفيري
الكويت في ٢١/ ١/ ٢٠١٢م.

للتواصل :
الاتصال على : ٠٠٩٦٥ -٥٠٢٩٠٣٠٣
إيميل : Al-jefiri@hotmail.com
تويتر : @mohamdaljefiri

(١) ومن أحب طباعته أو المساهمة في ذلك ونشره في المساجد فليتواصل معي عبر عناوين التواصل والله يكتب له أجره.

تفسير سورة الفاتحة

سمِّيت بذلك؛ لأنه افتتح بها القرآن الكريم.

والفاتحة ثلاث آيات لله ﷻ وهي الثلاث الأولى، وثلاث آيات للعبد وهي الثلاث الأخيرة، وواحدة بين العبد وربِّه وهي الرابعة الوسطى.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ البسملة آية من كتاب الله مستقلة ليست من الفاتحة ولا من أي سورة.

إذا قلت: (باسم الله) وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: (باسم الله آكل)، كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركاً به، ومستعيناً به، إلا باسم الله ﷻ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : ﴿الْحَمْدُ﴾ وصف المحمود بالكمال في ذاته وصفاته وأفعاله مع المحبة والتعظيم.

والله تعالى مستحق مختص بالحمد الكامل من جميع الوجوه، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أصابه ما يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات»، وإذا أصابه خلاف ذلك قال: «الحمد لله على كل حال».

﴿لِلَّهِ﴾ الله: اسم ربنا ﷻ لا يسمى به غيره، ومعناه: المألوه، أي: المعبود حباً وتعظيماً ﴿رَبِّ﴾ الرب هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير. و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كل ما سوى الله، وُصفوا بذلك لأنهم عَلَم على خالقهم سبحانه وتعالى؛ على قدرته وحكمته ورحمته وعزته وغير ذلك من معاني ربوبيته.

وربوبية الله ﷻ مبنية على الرحمة الواسعة الواصلة للخلق؛ لأنه تعالى لما قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ أي ربوبية رحمة وإنعام لا ربوبية أخذ وانتقام.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وصفه، أي ذو الرحمة الواسعة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فعله، أي ذو الرحمة الواصلة، ولو أنه جيء بالرحمن وحده أو بالرحيم وحده لشمل الوصف والفعل.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ مالك يوم الجزاء وهو يوم القيامة، فلا مالك غيره في ذلك اليوم. والله مالك يوم الدين والدنيا، لكن ظهور ملكوته وملكه وسلطانه إنما يكون في ذلك اليوم؛ لأنه ينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، فيقول تعالى ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد إلا إياك. ونعبد أي: نتذلل لك أكمل ذلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلاً لله ﷻ. والعبادة تتضمن فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه، ولا يمكن أن يكون هذا بغير معونة الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نستعين إلا إياك على العبادة وغيرها. والاستعانة بمعنى أنك تعتمد على الله ﷻ وتتبرأ من حولك وقوتك.

﴿ٱهْدِنَا﴾ هداية علم وإرشاد، وهداية توفيق وعمل، أي تسأل الله علماً

نافعاً وعملاً صالحاً. و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ.

فلا بد في العبادة من (إخلاص) يدل عليه قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، ومن (استعانة) يتقوى بها على العبادة يدل عليه قوله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ومن (اتباع) للشريعة يدل عليه قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ .

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩][1] .

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، وكل من علم بالحق ولم يعمل به. وجاء التعبير بالمغضوب عليهم؛ لأن الغضب عليهم حاصل من الله تعالى ومن أوليائه.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم النصارى قبل بعثة النبي ﷺ[2]، وكل من عمل بغير الحق جاهلاً به.

وقدم المغضوب عليهم على الضالين؛ لأنهم أشد مخالفة للحق من الضالين؛ فإن المخالف عن علم يصعب رجوعه، بخلاف المخالف عن جهل.

(١) والشهداء، قيل أنهم أولوا العلم، وقيل: الذين قتلوا في سبيل الله، والآية تحتمل المعنيين، قاله الشيخ في تفسير سورة البينة.

(٢) أما بعد البعثة فقد علموا الحق وخالفوه فصاروا هم واليهود سواء، كلهم مغضوب عليهم. (قاله الشيخ ابن عثيمين وقرره في مواضع عديدة من كتبه).

الجزء الثلاثون | سورة النبأ

سُورَةُ النَّبَإِ | مكية | آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
(٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ
مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

٥٨٢

تفسير سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١)﴾ هؤلاء المكذبون بالقرآن وغيره[1]؟ أجاب الله عز وجل فقال: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)﴾ وهو ما جاء به النبي ﷺ، ولاسيما الأخبار عن اليوم الآخر والبعث والجزاء ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾ فمنهم من آمن به وصدق، ومنهم من كفر به وكذب.

فبين الله أن هؤلاء الذين كذبوا سيعلمون ما كذبوا به علم اليقين، وذلك إذا رأوا يوم القيامة على حسب ما أخبروا به، فقال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾ والجملة الثانية توكيدٌ للأولى من حيث المعنى. ثم بين الله تعالى نعمه على عباده ليقرر هذه النعم فيلزمهم شكرها فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)﴾ ممهدة على حسب مصالحهم وما ينتفعون به، ليست بالصلبة التي لا يستطيعون حرثها ولا المشي عليها إلا بصعوبة، وليست باللينة الرخوة التي لا ينتفعون

إِنَّ

(١) وغيره يعني المكذبون بمحمد وبالبعث وبنذر الله... إلخ.

بها ولا يستقرون عليها ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ أي جعلها صلبة قوية لا تزعزعها الرياح بمنزلة الوتد للخيمة حيث يثبتها فتثبت به ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ أصنافاً ما بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وأسود وأحمر، وشقي وسعيد إلى غير ذلك، ليعتبر الناس بقدرة الله تعالى على أن يجعل هذا البشر الذين خلقوا من مادة واحدة ومن أب واحد على هذه الأصناف المتنوعة المتباينة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ قاطعاً للتعب ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ أي جعل الله الليل على الأرض كأنها تلبسه ويكون جلباباً لها ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ يعيش الناس فيه في طلب الرزق ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ السماوات السبع ﴿شِدَادًا﴾ قوية ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾ وقادة مضيئة وذات حرارة عظيمة، وفيها مصلحة عظيمة حيث يستغني الناس بها عن إيقاد الأنوار فتوفر أموالاً عظيمة في النهار، وتستخرج منها الطاقة، وبها إنضاج الثمار وغير هذا من الفوائد.

ولما ذكر السراج الوهاج الذي به الحرارة واليبوسة ذكر ما يقابل ذلك فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحاب، كأنما تعصر هذا الماء عند نزوله عصراً كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب ويخرج منه ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ كثير الانهمار والتدفق ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ بهذا الماء ﴿حَبًّا﴾ بجميع أصنافه وأنواعه: البر والشعير والذرة وغيرها ﴿وَنَبَاتًا﴾ من الثمار كالتين والعنب وما أشبه ذلك ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفاً بعضها إلى بعض من كثرتها وحسنها، حتى إنها لتستر من فيها.

ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على العباد، ذكر حال اليوم الآخر وأنه ميقات يجمع الله به الأولين والآخرين فقال تعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين أهل الكفر وأهل الإيمان فيما كانوا يختلفون فيه، وبين أهل العدوان وأهل الاعتدال فيما شجر

بينهم، ففريق في الجنة وفريق في السعير ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ ميقاتا للجزاء، وموقوتاً لِأَجَلٍ معدود ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ النافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأُولىٰ: يفزع الناس ثم يصعقون فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم وتعود إليهم أرواحهم ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ فوجاً مع فوج أو يتلو فوجاً ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ انفرجت فتكون أبواباً يشاهدها الناس بعد أن كانت سقفاً محفوظاً ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ الجبال العظيمة الصماء تُدك فتكون كالرمل ثم تكون كالسراب تسير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾ اسم من أسماء النار، سميت به لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها وقعرها ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ مرصدة ومعدة للطاغين، قد أعدها الله ﷻ لهم من الآن، فهي موجودة. ورآها النبي ﷺ ورأى فيها امرأة تعذب في هرة لها حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها، ورأى فيها عمرو بن لحي الخزاعي لأنه كان أول من أدخل الشرك على العرب ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ الطغيان مجاوزة الحد، ويكون في حقوق الله كالتفريط في الواجب أو التعدي في المحرم، ويكون في حقوق العباد كالعدوان عليهم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم ﴿مَـَٔابًا﴾ أي مكان أوب، والأوب: الرجوع ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ باقين فيها مددا طويلة لا نهاية لها ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ نفى الله سبحانه وتعالى فيها البرد الذي تكون به برودة ظاهر الجسم، والشراب الذي تكون به برودة داخل الجسم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ ليس لهم إلا الماء المنتهي في الحرارة يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء ﴿وَغَسَّاقًا﴾ الغساق: شراب منتن الرائحة شديد البرودة، وهو صديد أهل النار وما يخرج من أجوافهم من النتن والعرق وغير ذلك ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ جزاء موافقاً لأعمالهم من غير أن يظلموا. ثم بين وجه موافقة هذا العذاب للأعمال فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ لا

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا (٤٠)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ — مكية — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
(٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا (٤) فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
(٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥)

إِذْ نَادَىٰهُ

يُؤملون أن يحاسبوا بل ينكرون البعث والحساب ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨)﴾ يقولون هذا كذب هذا سحر هذا جنون، وما أشبه ذلك ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ مما يفعله الله عَزَّ وَجَلَّ من الخلق والتدبير في الكون، وما يعمله العباد من أقوال وأفعال صغيرة وكبيرة ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ ضبطناه بالإحصاء الدقيق الذي لا يختلف ﴿كِتَٰبًا﴾ يعني كتباً، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، ومن جملة ذلك أعمال بني آدم فإنها مكتوبة، بل كل قول يكتب، حتى الهم يكتب إما لك وإما عليك ﴿فَذُوقُوا۟﴾ يقال لأهل النار: ذوقوا العذاب إهانة وتوبيخاً ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ لن نخفف عنكم، بل ولا نبقيكم على ما أنتم عليه، لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته ومدته ونوعه.

ثم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ما للمتقين من النعيم بعد قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢)﴾ لأن القرآن مثاني إذا ذكر فيه العقاب ذكر فيه الثواب، وإذا ذكر الثواب ذكر العقاب، حتى يكون سير الإنسان إلى ربه

بين الخوف والرجاء؛ لأنه إن غلب عليه الرجاء وقع في الأمن من مكر الله، وإن غلب عليه الخوف وقع في القنوط من رحمة الله، وكلاهما من كبائر الذنوب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا عقاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ﴿مَفَازًا﴾ المفاز هو مكان الفوز وزمان الفوز أيضاً، فهم فائزون في أمكنتهم، وفائزون في أيامهم ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ هذا نوع المفاز ﴿حَدَآئِقَ﴾ أي بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ وهي من جملة الحدائق لكنه خصها بالذكر لشرفها ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب وهي التي تبين ثديها ولم يتدل، بل برز وظهر كالكعب، وهذا أكمل ما يكون في جمال الصدر ﴿أَتْرَابًا﴾ على سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كبراً ﴿وَكَأْسًا﴾ كأس الخمر ﴿دِهَاقًا﴾ ممتلئة ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ كلاماً باطلاً لا خير فيه ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ ولا كَذِباً، فلا يَكْذِبون ولا يُكَذِّبُ بعضهم بعضاً ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً﴾ جزاء من الله سبحانه وتعالى على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا واتقوا بها محارم الله ﴿حِسَابًا﴾ أي كافياً، أي أن هذا الكأس كأس كافٍ لا يحتاجون معه إلى غيره لكمال لذته وتمام منفعته[1].

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات العظيمة كالغيوم والسحب والأفلاك وغيرها مما نعلمه، ومما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ذي الرحمة الواسعة الشاملة ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ لا

(١) المقصود: حسابا كافيا وافيا، في كل ما تقدم ذكره من أنواع النعيم والمفاز، وعبارة الشيخ (كأس كاف لا يحتاجون .. الخ) جرت على سبيل التمثيل بنوع من الأنواع، ولم أجد أحدا من المفسرين مثل بنوع لأن الآية تعم كل أنواع المفاز، فجميع مفاز الجنة ونعيمها كافيهم لا يحتاجون معه إلى غيره.

يستطيع أحد أن يتكلم إلا بإذن الله، وذلك ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو جبريل ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ صفوفاً، صفًّا بعد صف لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم سبحانه وتعالى ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ ملائكة ولا غيرهم ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالكلام فإنه يتكلم كما أُذن له ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي قال قولاً صواباً موافقاً لمرضات الله سبحانه وتعالى، وذلك بالشفاعة، إذا أذن الله لأحد أن يشفع شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أُذن له .

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أخبرناكم عنه هو ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي اليوم الثابت ويقوم فيه العدل ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي من شاء عمل عملاً يؤوب به إلى الله ويرجع به إليه، وذلك العمل الصالح الموافق لمرضاة الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي خوفناكم من عذاب قريب وهو يوم القيامة، ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي ما عمل في الدنيا ويأخذ كتابه ويعرف مصيره ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ من شدة ما يرى من الهول وما يشاهده من العذاب ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي ليتني لم أخلق، أو ليتني لم أبعث، أو إذا رأى البهائم التي يقضي الله بينها ثم يقول: كوني تراباً فتكون تراباً، يتمنى أن يكون مثل البهائم.

تفسير سورة النازعات

أقسم الله سبحانه وتعالى بالملائكة لأنهم من خير المخلوقات، ولا يقسم الله سبحانه وتعالى بشيء إلا وله شأن عظيم إما في ذاته، وإما لكونه من آيات الله ﷻ.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها ﴿غَرْقًا﴾ نزعاً بشدة، وسبب ذلك أن الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار إذا دعت الروح إلى الخروج تناديها بأقبح الأوصاف، تقول: اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى غضب الله، فتنفر الروح لا تريد أن تخرج، وتتفرق في الجسد حتى يقبضوها بشدة وينزعوها نزعاً يكاد يتمزق الجسد من شدة النزع ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي تسلها برفق كالأنشوطة، والأنشوطة: الربط بحيث إذا سللت أحد الطرفين انفكت العقدة، وهذا ينحل بسرعة وبسهولة، فإن الملائكة إذا نزلت لقبض أرواح المؤمنين تبشرها: أخرجي يا أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله، قال ﷺ: «ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه». ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣﴾ هي الملائكة تسبح بأمر الله، أي تسرع فيه - كما يسرع السابح في الماء - ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤﴾ الملائكة تسبق إلى أمر الله ﷻ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ الملائكة تدبر أمور الله ﷻ على حسب أمره، فجبرائيل موكل بالوحي، وإسرافيل موكل بنفخ الصور، وميكائيل موكل بالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار،

ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، وملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم، كلٌّ يدبر ما أمره الله ﷻ به. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ والتقدير: أذكر يا محمد وذكّر الناس بهذا اليوم العظيم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ وهما النفختان في الصور، النفخة الأولى ترجف الناس ويفزعون ثم يموتون عن آخرهم إلا من شاء الله، والنفخة الثانية يبعثون من قبورهم فيقوم الناس مرة واحدة.

إذا رجفت الراجفة وتبعتها الرادفة انقسم الناس إلى قسمين: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ وهذه قلوب الكفار ﴿وَاجِفَةٌ﴾ أي: خائفة خوفاً شديداً. ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾ ذليلة لا تكاد تحدق أو تنظر بقوة، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. وأما القسم الثاني فقلوبهم على عكس قلوب هؤلاء.

[﴿يَقُولُونَ﴾ أي منكروا البعث في الدنيا - استهزاءً وإنكارًا للبعث- ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الخلقة الأولى؟! ويقولون على وجه التكذيب: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ أي: بالية فتاتاً. والمعنى: أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً وهي رميم؟ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلا منهم بقدرة الله وتجرُّؤاً عليه قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾][1] من الله ﷻ، يزجرون ويصاح بهم

(١) ما بين المعكوفين لم يتعرض لهما الشيخ ابن عثيمين بالتفسير، فنقلت تفسيرهما من تفسير شيخه السعدي بتصرف يسير.

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ سُورَةُ النَّازِعَاتِ
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾
مَكِّيَّة سُورَةُ عَبَسَ آيَاتُهَا ٤٢
٥٨٤
عَبَسَ

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ يقومون من قبورهم قيام رجل واحد على ظهر الأرض بعد كانوا في بطنها، ثم يحضرون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ليجازيهم.

ثم قال تعالى مبيناً ما جرى للأمم قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو لكل من يتأتى خطابه ويصح توجيه الخطاب إليه ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ ابن عمران عليه الصلاة والسلام أفضل أنبياء بني إسرائيل، وفي قوله ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ تشويق للسامع ليستمع إلى ما جرى في هذه القصة ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ نداءً سمعه بصوت الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ هو الطور، والوادي هو مجرى الماء، وسماه الله مقدساً لأنه كان فيه الوحي إلى موسى عليه الصلاة والسلام ﴿طُوًى﴾ اسم للوادي ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ كان يقول لقومه: إنه ربهم الأعلى، وأنه لا إله غيره، فادعى ما ليس له وأنكر حق غيره وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، وبين سبب ذلك بقوله ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي زاد على حده ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ الاستفهام هنا لتشويق فرعون أن يتزكى مما هو عليه من الشر والفساد ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾

أدلك إلى دين الله ﷻ الموصل إليه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخاف الله ﷻ على علم منك؛ لأن الخشية هي الخوف المقرون بالعلم.

ولما كان البشر لا يقبلون دعوى شخص أنه رسول إلا بآية؛ جعل الله سبحانه وتعالى آية تدل على صدقه فقال: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ يعني أرى موسى فرعون الآية العظمى، والآية أن معه عصاً من خشب، فكان إذا وضعها في الأرض صارت حية تسعى ثم يحملها فتعود عصا، وهذا من آيات الله أن شيئاً جماداً صار حية تسعى، وإذا حمل من الأرض عاد في الحال إلى حاله الأولى، وبكونه: يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير عيب، وإنما بعثه الله بالعصا واليد؛ لأنه كان السحر في زمن موسى منتشراً شائعاً فأرسله الله ﷻ بشيء يغلب السحرة الذين تصدوا لموسى عليه الصلاة والسلام.

والذين ليس في قلوبهم استعداد للهداية لا يهتدون ولو جاءتهم كل آية ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبَ﴾ الخبر ﴿وَعَصَىٰ﴾ الأمر، يعني قال لموسى إنك لست رسولاً بل قال مجنون، فلم يمتثل أمر موسى ولم يَنْقَدْ لشرعه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ أي تولى مدبراً يسعى حثيثاً ﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع الناس ﴿فَنَادَىٰ﴾ فيهم بصوت مرتفع ليكون ذلك أبلغ في نهيهم عما يريد منهم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ يعني لا أحد فوقي، فانظر كيف استكبر هذا الرجل وادعى لنفسه ما ليس له، وكان يفتخر بالأنهار والملك الواسع فأغرقه الله ﷻ بالماء الذي كان يفتخر به، وأورث الله ملك مصر بني إسرائيل الذين كان يستضعفهم ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ أخذ عزيز مقتدر ﴿نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعني أنه نكّل به في الآخرة وفي الأولى، فكان عبرة في زمنه، وعبرة فيما بعد زمنه إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما جرى من إرسال موسى إلى فرعون ومحاورته إياه،

واستهتار فرعون به واستكباره عن الانقياد له ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الله ﷻ، فيسلك سبيل المرسلين ويتجنب طرق الكافرين.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا الاستفهام لتقرير إمكان البعث، والجواب معلوم أنه السماء، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]. ﴿بَنَىٰهَا﴾ الله ﷻ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ رفعه عن الأرض بغير عمد ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ جعلها مستوية تامة كاملة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ بَيَّنَهُ بالشمس التي تخرج كل يوم ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد خلق السماوات والأرض ﴿دَحَىٰهَآ﴾ بَيَّنَ سبحانه هذا الدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ كانت الأرض مخلوقة قبل السماء، لكن دحوها وإخراج الماء منها والمرعى كان بعد خلق السماوات ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ جعلها راسية في الأرض تمسكها لئلا تضطرب بالخلق، ولا تنسفها الرياح مهما قويت ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ أي جعل الله تعالى ذلك متاعاً لنا نتمتع به فيما نأكل ونشرب، ولأنعامنا أي مواشينا من الإبل والبقر والغنم وغيرها.

ولما ذكَّر الله ﷻ عباده بهذه النعم الدالة على كمال قدرته ورحمته ذكرهم بمآلهم الحتمي الذي لابد منه، فقال ﷻ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ وذلك قيام الساعة، سماها طامة لأنها داهية عظيمة تطم كل شيء سبقها ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ يعني أكبر من كل طامة ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ ما عمله في الدنيا، مكتوباً بكتاب يقرأه هو بنفسه، فإذا قرأه تذكر ما سعى أي ما عمل، أما اليوم فإننا قد نسينا ما عملنا، عملنا أعمالاً كثيرة منها الصالح، ومنها اللغو، ومنها السيء، وفي يوم القيامة يعرض علينا هذا في كتاب ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي أظهرت، تجيء تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام فيه سبعون ألف ملك يجرونها ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ هذان وصفان هما وصفا أهل النار، الطغيان وهو مجاوزة الحد بألا يقوم الإنسان بعبادة الله، وإيثار الدنيا على الآخرة بتقديمها على طاعة الله ﷻ، آثر النوم على الصلاة، آثر اللغو على ذكر الله وهكذا ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ المرجع والمقر ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ يعني خاف القيام بين يديه لأنه سوف يقرره الله ﷻ بذنوبه حين يخلو به ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ عن هواها المخالف لأمر الله ورسوله ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يسألك الناس ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى وقوعها، سؤال استبعاد وإنكار، وهذا كفر، كما سأل المشركون النبي ﷺ عن الساعة واستعجلوها. وقد قال الله عن هؤلاء: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨]. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ يعني أنه لا يمكن أن تذكر لهم الساعة، لأنه لا يعلم متى الساعة إلا الله ﷻ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ ولكنك منذر من يخافها وهم المؤمنون، أما من أنكرها واستبعدها وكذبها فإن الإنذار لا ينفع فيه ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ومهما طالت بك الدنيا فكأنما بقيت يوماً واحداً بل كما قال تعالى هنا: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي يرون القيامة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً﴾ من الزوال إلى الغروب ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ من طلوع الشمس إلى زوالها، يعني كأنهم لم يلبثوا إلا نصف يوم.

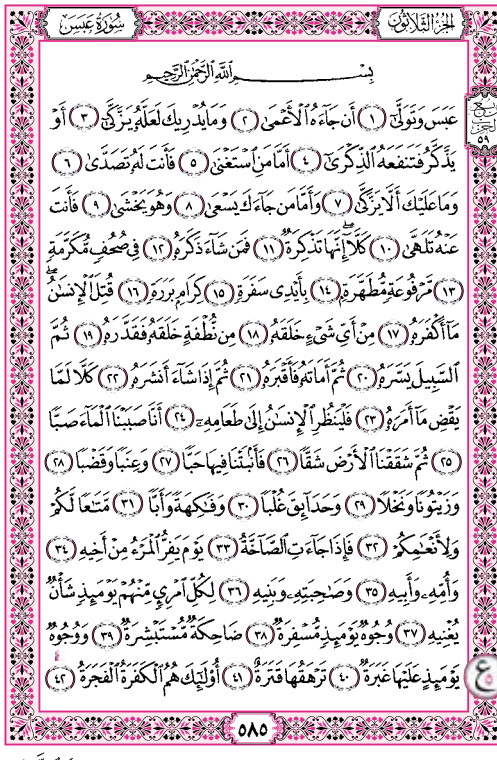

تفسير سورة عبس

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ أي: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلح في وجهه يعني استنكر الشيء بوجهه. وتولى أي أعرض ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ عبدالله ابن أم مكتوم رضي الله عنه، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة، وكان عنده قوم من عظماء قريش، فجاء هذا الأعمى يقول: علمني مما علمك الله، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض عنه وعبس في وجهه رجاءً في إسلام هؤلاء العظماء، فإذا أسلموا كان ذلك سبباً لإسلام من تحتهم، وكأنه خاف أنهم يزدرونه إذا وجه وجهه لهذا الأعمى وأعرض عنهم، ولا شك أن هذا اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس احتقاراً لابن أم مكتوم؛ لأننا نعلم أن النبي ﷺ لا يهمه إلا أن تنتشر دعوته الحق بين عباد الله، وأن الناس عنده سواء ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: أي شيء يريبك ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ لعل ابن أم مكتوم ﴿يُزَّكَّىٰٓ﴾ يتزكى ويتطهر من الذنوب والأخلاق التي لا تليق بأمثاله، فإذا كان هذا هو المرجو منه فإنه أحق أن يلتفت إليه

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ يعني وما يدريك لعله يتعظ فتنفعه الموعظة.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾﴾ بماله لكثرته، وبجاهه لقوته - وهم العظماء الذين عند النبي ﷺ ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ تُقْبِلُ عليه وتطلب إقباله عليك ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ يعني ليس عليك شيء إذا لم يتزك هذا المستغني، لأن إثمه على نفسه وليس عليك إلا البلاغ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ يستعجل، من أجل انتهاز الفرصة إلى حضور مجلس النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ يخاف الله ﷻ بقلبه لعلمه بعظمته ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ تتلهى عنه وتتغافل - لأنه انشغل برؤساء القوم لعلهم يهتدون- ﴿كَلَّآ﴾ حرف ردع وزجر، يعني لا تفعل مثل هذا ﴿إِنَّهَا﴾ أي الآيات القرآنية التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ تُذَكِّرُ الإنسان بما ينفعه وتحثه عليه، وَتَذْكُرُ له ما يضره وتحذره منه ويتعظ بها القلب ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ أي فمن شاء ذَكَرَ ما نزل من الوحي فاتعظ، فالإنسان في الحقيقة مخير.

وهذا الذكر الذي تضمنته هذه الآيات ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ معظمة عند الله ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ الملائكة، وسموا سفرة لأنهم كتبة من السِّفْر وهو الكتاب. وقيل: السفرة من السفير وهو الواسطة بين الناس، لأنهم سفراء بين الله وبين الخلق ﴿كِرَامٍ﴾ في أخلاقهم وفي خلقتهم ﴿بَرَرَةٍ﴾ أي: كثيري الفضل والإحسان.

وهذه الآيات فيها تأديب من الله ﷻ للخلق: ألا يفضلوا في الدعوة إلى الله شريفاً لشرفه، ولا عظيماً لعظمته، ولا قريباً لقربه، بل يكون الناس عندهم سواء في الدعوة إلى الله: الفقير والغني، الكبير والصغير، القريب والبعيد. وفيها أيضاً تلطف الله ﷻ بمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقل: (عبست وتوليت أن جاءك) لأنها عتاب، فلو وجهت

إلى الرسول بالخطاب لكان شديدا عليه، فَجَعَل الحكم للغائب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ . ولأجل ألا يقع بمثل ذلك من يقع من هذه الأمة.

وفي الآيات أيضاً دليل على جواز لقب الإنسان بوصفه مثل الأعمى والأعرج والأعمش إذا كان المقصود به تعيين الشخص، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام؛ لأنه إنما يقصد به الشماتة.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ معناها أُهلك؛ والمراد بالإنسان هنا الكافر ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ويحتمل أن يكون المراد بالإنسان الجنس، لأن أكثر بني آدم كفار، ويخرج المؤمن من ذلك بما دلت عليه النصوص الأخرى. ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ أو ما أعظم كفره! لأن الله أعطاه عقلاً وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر فيكون كفره عظيماً، ومنه إنكار البعث، ولهذا قال: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ يعني أنت أيها الإنسان الذي تكفر بالبعث، من أي شيء خلقت؟ ألم تخلق من العدم فوجدت وصرت إنساناً، فكيف تكفر بالبعث؟ ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ ماء الرجل الدافق الذي يلقيه في رحم المرأة فتحمل ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أطواراً، نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ الطريق ﴿يَسَّرَهُۥ﴾ يعني يسر له ليخرج من بطن أمه إلى عالم المشاهدة، ويسر له أيضاً ثديي أمه يتغذى بهما، ويسر له بعد ذلك ما فتح له من خزائن الرزق، ويسر له فوق هذا كله طريق الهدى والفلاح بما أرسل إليه من الرسالات وأنزل عليه من الكتب ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ أي جعله مدفونا في قبر ستراً عليه وإكراماً واحتراماً. ولهذا قال ابن عباس في قوله ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أكرمه بدفنه ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ﴾ الله ﷻ ﴿أَنشَرَهُۥ﴾ بعثه، ولا يعجزه ﷻ أن ينشره لكن لم يأتِ أمر الله بعد، ولهذا قال: ﴿كَلَّا لَمَّا﴾ بمعنى (لم) ﴿يَقْضِ﴾ الله تعالى ﴿مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ أي ما أمر به كوناً وقدراً.

ثم قال ﷻ مذكراً للإنسان بما أنعم الله عليه ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ من أين جاء؟ وهل أحدٌ خلقه سوى الله ﷻ؟ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ يعني من السحاب ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ تتشقق بالنبات بعد نزول المطر عليها ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالبر والرز والذرة والشعير وغير ذلك ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ قيل إنه القت المعروف الذي تأكله الدواب ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ كثيرة الأشجار ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ الأب نبات معروف عند العرب ترعاه الإبل ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾ بالتفكه بهذه النعم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

ثم لما ذَكَّرَ الله ﷻ الإنسان بحاله منذ خُلِقَ من نطفة حتى بقي في الدنيا وعاش، ذَكَرَ حَالَه الآخرة في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ الصيحة العظيمة التي تصخ الآذان، وهذا هو النفخ في الصور ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ شقيقه أو لأبيه أو لأمه ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ المباشر، والأجداد والجدات ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ وهم أقرب الناس وأحبهم إليه، ويفر من هؤلاء كلهم. قال أهل العلم: يفر منهم لئلا يطالبوه بما فرط به في حقهم من أدب وغيره ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ كل مشتغل بنفسه لا ينظر إلى غيره.

ثم قسّم الله الناس في ذلك اليوم إلى قسمين فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ من الإسفار وهو الوضوح، لأن وجوه المؤمنين تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ متبسمة، وهذا من كمال سرورهم ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ قد بشرت بالخير لأن الملائكة تتلقاهم بالبشرى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي: شيء كالغبار؛ لأنها ذميمة قبيحة ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ ظلمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

تفسير سورة التكوير

الجُزءُ الثَّلاثون — سُورَةُ التَّكوِير

سُورَةُ التَّكوِير — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ (٤) وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ
(٥) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ (٦) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ (٧) وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ (٨) بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ
(١٠) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ (١١) وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ (١٢) وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ (١٣) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ (١٤) فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ (١٥)
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ (١٧) وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ (٢٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ
(٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ (٢٥)
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ (٢٦) إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٩) ع

سُورَةُ الانفِطَار — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ١٩

٥٨٦

إِذَا ٱلسَّمَآءُ

التكوير: جمع الشيء بعضه إلى بعض ولفّه كما تكوّر العمامة على الرأس.

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ يكورها الله عَزَّ وَجَلَّ في يوم القيامة فيلفها جميعاً ويطوي بعضها على بعض فيذهب نورها، ويلقيها عَزَّ وَجَلَّ في النار إغاظة للذين يعبدونها من دون الله ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ تساقطت وزالت عن أماكنها ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣﴾ تكون هباءً وتسيّر ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤﴾ جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي تم لحملها عشرة أشهر، وهي من أنفس الأموال عند العرب، وتجد صاحبها يرقبها ويعتني بها في الدنيا، لكن في الآخرة تُعَطَّل ولا يُلْتَفَت إليها ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥﴾ جميع الدواب يوم القيامة تحشر ويشاهدها الناس ويُقتص لبعضها من بعض، وإنما يفعل ذلك سبحانه وتعالى لإظهار عدله بين خلقه ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ تشتعل ناراً عظيمة، وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها ماء ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ شكّلت وضُم بعضها إلى بعض، أهل

الخير إلى أهل الخير، وأهل الشر إلى أهل الشر ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ الأنثى تدفن حية ﴿... سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وذلك أنه في الجاهلية إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ممتلئ هَّما وغمًّا، يتوارى ويختفي من القوم لأنه يُعَيِّر بعضهم بعضا، وصار يفكر هل يُبْقِي هذه الأنثى على هُونٍ وذُلٍّ أو يَدُسُّها في التراب ويستريح منها؟ فمنهم من يدفن البنت وهي حية، حتى إن بعضهم كان يحفر الحفرة لبنته، فإذا أصاب لحيته شيء من التراب نفضته عن لحيته وهو يحفر لها ليدفنها! ولا يكون في قلبه لها رحمة، فتُسأل يوم القيامة : بأي ذنب قتلت؟ توبيخاً لظالمها وقاتلها ودافنها نسأل الله العافية ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ كل عمل تعمله من قول أو فعل فإنه يكتب ويسجل بصحائف، وسوف تنشر لك يوم القيامة ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ تُزال عن مكانها كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم، ثم يطويها ﷻ بيمينه ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ويهزها - وكذلك يقبض الأرض - ويبقى الأمر فضاء، ويكون بدل السماء التي فوقنا الآن العرش ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾ النار، سميت بذلك لبعد قعرها وظلمة مرآها ﴿سُعِّرَتْ﴾ توقد، ووقودها ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ قُرِّبت وزُيِّنت للمؤمنين، كل هذا يكون يوم القيامة. إذا قرأنا هذه الآيات: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ ... اثنتا عشرة جملة، وإلى الآن لم يأت بالجواب: ماذا يكون إذا كانت هذه الأشياء؟ قال الله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ أي ما قدمته من خير وشر.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ لا للتأكيد فالمعنى أقسم بالخنس، وهي النجوم التي ترجع، فبينما تراها في أعلى الأفق، إذا بها راجعة إلى آخر الأفق، وذلك والله أعلم لارتفاعها وبُعدها ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ أصلها الجواري ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ التي تدخل في مغيبها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ أقسم

الله بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله.

وإنما أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات لعظمها وكونها من آياته الكبرى، ولعظم المقسم عليه وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هو جبريل عليه الصلاة والسلام، ووصفه الله بالكرم لحسن منظره وهيئته الجميلة ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ وصفه الله تعالى بالقوة العظيمة، فإن الرسول ﷺ رآه على صورته التي خلقه الله عليها له ست مئة جناح، قد سدّ الأفق كله من عظمته عليه الصلاة والسلام ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ صاحب العرش وهو الله جل وعلا، والعرش فوق كل شيء، وفوق العرش رب العالمين ﷻ ﴿مَّكِينٍ﴾ ذو مكانة وشرف، ولهذا خصه الله بأكبر النعم التي أنزلها على عباده وهو الوحي ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي هناك، تطيعه الملائكة لأنه ينزل بالأمر من الله ﴿أَمِينٍ﴾ على ما كُلف به. فالقرآن قول الله حقيقة، وقول جبريل باعتبار أنه بلغه لمحمد، وقول محمد باعتبار أنه بلغه إلى الأمة .﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ الذي تعرفونه﴿بِمَجْنُونٍ﴾ بقي فيهم أربعين سنة في مكة قبل النبوة يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته حتى كانوا يطلقون عليه اسم الأمين ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي رأى محمدٌ جبريل ﴿بِٱلْأُفُقِ﴾ جانب السماء ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر العالي ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني ما محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على الوحي الذي جاءه من عند الله ﴿بِضَنِينٍ﴾ ببخيل، بل هو أشد الناس بذلاً لما أوحي إليه، يعلم الناس في كل مناسبة، وهو أبعد الناس عن التهمة لكمال صدقه عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي ليس القرآن بقول أحد من الشياطين، وهم الكهنة الذين توحي إليهم الشياطين الوحي ويكذبون معه ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ تذكير للعالمين وتذكر لهم يتعظون به، (والمراد بالعالمين) من بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِمَن شَآءَ

مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ والاستقامة هي الاعتدال، ولا عدل أقوم من عدل الله ﷻ في شريعته، فليس فيها ظلم ولا حرج ولا مشقة.

فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ أي يكون سيره سير استقامة على دين الله ﷻ في معاملة الخالق ﷻ وفي معاملة المخلوق. كأنه قال إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم. وأما من لا يشاء الاستقامة فإنه لا يتذكر بهذا القرآن ولا ينتفع به، فمشيئة الإنسان باختياره، إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ولكن نعلم علم اليقين أنه ما شاء شيئاً إلا وقد شاءه الله من قبل، ولهذا قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فلولا أن الله شاءه ما شئناه، ولو شاء الله ما فعلنا، ولا حجة لنا في المعصية، لأننا لم نعلم أن الله شاءها إلا بعد أن فعلناها، وفعلنا إياها باختيارنا، ولهذا لا يمكن أن نقول إن الله شاء كذا إلا بعد أن يقع، فإذا وقع فبأي شيء وقع؟ وقع بإرادتنا ومشيئتنا. حتى لو شئت والله تعالى لم يشأ فإنه لن يكون، بل يقيض الله تعالى أسباباً وموانع تحول بينك وبينه حتى لا يقع. وكثيراً ما يعزم الإنسان على شيء يتجه بعد العزيمة على هذا الشيء وفي لحظة ما يجد نفسه منصرفاً عنه أو مصروفاً عنه بسبب أو بغير سبب؛ لأن الله لم يشأه. ولهذا قيل لأعرابي بم عرفت ربك؟ قال: «بنقض العزائم وصرف الهمم» ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى عموم ربوبية الله، والمراد بالعالمين كل من سوى الله.

تفسير سورة الانفطار

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ يعني النجوم تتفرق وتتساقط لأن العالم انتهى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ فُجر بعضها على بعض وملئت الأرض ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ أخرج ما فيها من الأموات حتى قاموا لله ﷻ. فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ وذلك بما يُعرض عليها من الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول كَفَّار، بقطع النظر عن ديانته ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أي شيء غرك بالله حيث تكذبه في البعث، وتعصيه في الأمر والنهي؟! قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ إشارة إلى الجواب، وهو أن الذي غر الإنسان وصار يتمادى في المعصية: كرم الله ﷻ وإمهاله وحلمه، لكن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ أوجدك من العدم ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة من كل ناحية،

كَلَّآ إِ

ليست يد أطول من يد، ولا رجل أطول من رجل وهلم جرى ﴿فَعَدَلَكَ﴾ جعلك معتدل القامة لست كالبهائم التي تسير على يديها ورجليها ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ فمن الناس جميل وقبيح ومتوسط، ومنهم الأبيض والأحمر والأسود ومنهم ما بين ذلك، يركبك الله ﷻ على حسب مشيئته ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ يعني مع هذا الخلق والإمداد والإعداد تكذبون بالجزاء، وتكذبون أيضاً بالدين نفسه فلا تُقرّون به ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ على كل إنسان حفظة يكتبون كل ما قال وفعل، وهم كرام ليسوا لئاماً فلا يظلمون أحداً فيكتبون عليه ما لم يعمل أو يهدرون ما عمل ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ إما بالمشاهدة إن كان فعلاً، وإما بالسماع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣﴾ هذا بيان للنهاية والجزاء ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ هم كثيرو فعل الخير، المتباعدون عن الشر ﴿لَفِي نَعِيمٖ﴾ نعيم في القلب، ونعيم في البدن، يكون في الدنيا وفي الآخرة، أما الآخرة فالجنة، وأما في الدنيا فطمأنينة القلب ورضاه بقضاء الله وقدره ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾ هم الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾ نار حامية ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يحترقون بها ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء وذلك يوم القيامة ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ لن يغيبوا عنها فيخرجوا منها، لأنهم مخلدون بها أبداً ـ والعياذ بالله ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨﴾ هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم، والمعنى اعلم هذا اليوم واقدره قدره ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ لا بجلب خير ولا بدفع ضرر إلا بإذن الله ﷻ، لقوله: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ والأمر لله في ذلك اليوم وفي غيره، لكن ظهور أمره في ذلك اليوم أكثر بكثير من ظهور أمره في الدنيا، لأنه ليس هناك آمر في ذلك اليوم إلا الله ﷻ.

تفسير المطففين

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره أو ارتكب نهيه ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فسرتهم الآيات التي بعدها فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ إذا اشتروا منهم ما يكال، استوفوا منهم الحق كاملا بدون نقص ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئا وزنا نقصوا، فجمعوا بين الشح والبخل، الشح: في طلب حقهم كاملا بدون مراعاة أو مسامحة، والبخل: بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل والوزن، ويقاس عليه كل ما أشبهه من الحقوق (كالحقوق الزوجية وحقوق الأولاد ونحوهما)

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ ألا يتيقن هؤلاء أنهم مخرجون من قبورهم ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ في طوله وأهواله وما يحدث فيه، لكنه بالنسبة للمؤمن يكون يسيرا ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ يقومون من قبورهم

حفاة عراة غرلا أي غير مختونين لبيان كمال قدرته تعالى، (والختان) في الدنيا من أجل النزاهة عن الأقذار، لكن في الآخرة لا حاجة إليه، لأن أهل الجنة لا يبولون فيها ولا يتغوطون.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ كلا بمعنى حقا إن كتاب الفجار لفي سجين، أو بمعنى الردع عن التكذيب بيوم الدين. والسجين من السجن وهو المكان الضيق وهو أسفل ما يكون من الأرض الذي هو مقر النار نعوذ بالله منها. ثم عظم الله هذا السجين بقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ أي ما الذي أعلمك بسجين؟ وهل سألت عنه حتى يبين لك؟ وهذا التعظيم في سجين لسفولته ونزوله ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ مكتوب لا يزاد فيه ولا ينقص ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ بيوم الجزاء وهو يوم القيامة، توعدهم الله بالويل لأنه لا يستقيم على شريعة الله إلا من آمن بيوم الدين، ولهذا قال: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ في أفعاله ﴿أَثِيمٍ﴾ في كسبه كاسب للآثام ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني إذا تلاها عليه أحد، وهذا يدل على أن الرجل لا يفكر أن يتلو آيات الله ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي هذه أساطير الأولين التي يتكلم بها العجائز، والأسطورة هي الكلام اللغو الذي يُذكر للتسلي ولا حقيقة له، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ أي ليست أساطير الأولين ولكن هؤلاء ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ اجتمع عليها وحجبها عن الحق ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الأعمال السيئات ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي حقا إنهم يوم القيامة يحجبون عن رؤية الله ﷻ كما حجبوا عن رؤية شريعته وآياته، ورؤية الله ﷻ ثابتة بالكتاب ومتواتر السنة وإجماع الصحابة والأئمة ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ هؤلاء الفجار ﴿لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ يصلون حرارتها أو عذابها ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ تقريعا لهم وتوبيخا ﴿هَٰذَا

﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فيجتمع عليهم العذاب البدني بصلي النار، والعذاب القلبي بالتوبيخ والتنديم.

ولما ذكر الله تعالى أحوال الفجار وما لهم من العذاب ذكر أحوال الأبرار وما لهم من النعيم فقال :

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ إن للتوكيد، و﴿عِلِّيِّينَ﴾ في أعلى الجنة، أي أنهم في هذا المكان العالي، قد كُتِبَ ذلك عند الله ﷻ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾ يراد به التفخيم والتعظيم، يعني أي شيء أدراك به، فإنه عظيم ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ مكتوب لا يتغير ولا يتبدل ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ يحضره أو يشهد به المقربون عند الله، الذين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بطاعته، وكلما كان الإنسان أكثر طاعة لله كان أقرب إلى الله ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ الذين منَّ الله عليهم بكثرة فعل الخيرات وترك المنكرات ﴿لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ نعيم البدن ونعيم القلب ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أفخر أنواع الأسرة الناعمة الحسنة المزينة التي وضع عليها مثل الظل ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما أنعم الله به عليهم، والنظر إلى وجه الله ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ تعرف أيها الناظر إليهم في وجوههم حسن التنعم وبهاءه، لأنهم أسر وأنعم ما يكونون. ثم قال الله تعالى في بيان ما لهم من النعيم ﴿يُسْقَوْنَ﴾ يسقيهم الله ﷻ بأيدي الخدم الولدان ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ من شراب خالص ليس فيه أي أذى، لا ضرر فيه على العقل ولا ألم فيه في الرأس ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي بقيته وآخره مسك أي طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا فإنه خبيث الرائحة. فهؤلاء القوم الأبرار لمَّا حبسوا أنفسهم عن الملاذ التي حرمها الله عليهم في الدنيا أُعطوها يوم القيامة ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليتسابق المتسابقون سباقا يصل بهم إلى حد النفس، بالمسابقة إلى طاعة الله ﷻ وإلى ما يرضيه

والبعد عما يسخطه ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ مزاج هذا الشراب من عين رفيعة معنى وحسا، وذلك لأن أنهار الجنة تفجر من الفردوس، وهو أعلى الجنة وأوسطها وفوقه عرش الرب ﷻ، فيمزج الشراب بالطيب الذي يأتي من المكان المسنم الرفيع العالي وهو جنة عدن ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لم يقل يشرب منها، لأن معنى يشرب بها أي يروى بها المقربون، فكم من إنسان يشرب ولا يروى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بالمعصية والمخالفة ﴿كَانُوا۟﴾ في الدنيا ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً وسخرية واستصغارا لهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾ إذا مر المؤمنون بالمجرمين أو مَرَّ المجرمون بالمؤمنين ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضا ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ أي المجرمون ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ متفكهين بما نالوه من السخرية بهؤلاء المؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ إذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا إن هؤلاء ضالون عن الصواب، متأخرون، متزمتون، متشددون رجعيون متخلفون إلى غير ذلك من الألقاب. ولقد كان لهؤلاء السلف خلف في زماننا اليوم وما قبله وما بعده! فورثة الرسل من أهل العلم والدين سينالهم من أعداء الرسل ما نال الرسل من ألقاب السوء والسخرية وما أشبه ذلك، التي ينفرون بها الناس عن الطريق السوي ويبررون طريقهم المعوج الملتوي ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أي أن هؤلاء المجرمين ما بعثوا حافظين لهؤلاء المؤمنين يرقبونهم ويحكمون عليهم، بل الحكم لله ﷻ. ثم قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ وهذا والله هو الضحك الذي لا بكاء بعده، أما ضحك المجرمين بالمؤمنين في الدنيا فسيعقبه البكاء والحزن والويل والثبور ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ على السرر الفخمة الحسنة في الجنة، ينظر المؤمنون ما أعد الله لهم من الثواب، وينظرون إلى أولئك الذين

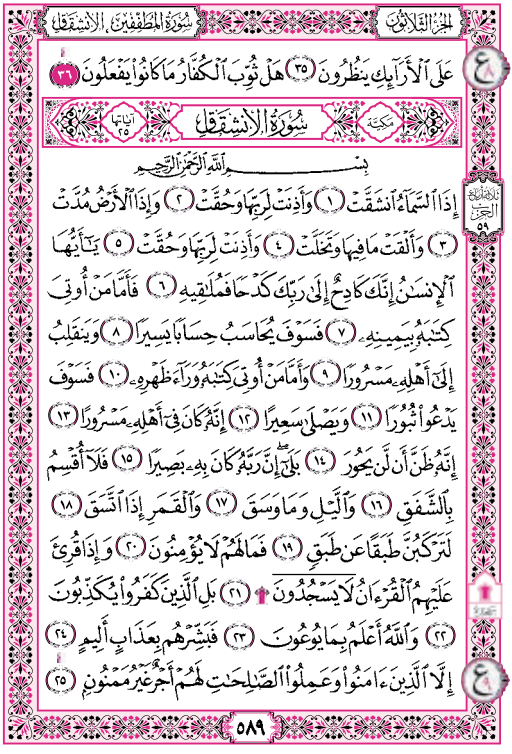

الجزء الثلاثون — سورة المطففين، الانشقاق

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانْشِقَاقِ — مكية — آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

٥٨٩

وَٱلسَّمَآءِ

يسخرون بهم في الدنيا وهم في عذاب الله. ثم قال تعالى ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي أن الله تعالى قد ثوب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا، وهو سبحانه حكم عدل.

تفسير سورة الانشقاق

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ انفتحت وانفرجت يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت وأطاعت أمر ربها عَزَّ وَجَلَّ أن تنشق فانشقت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أن تسمع وتطيع؛ لأن الذي أمرها الله خالقها عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ تمد مدًّا واحداً كمد الجلد فتكون مستوية، فلا تعرج ولا ارتفاع وانخفاض ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ أي جثث بني آدم تلقيها يوم القيامة فيخرجون من قبورهم لله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ استمعت وأطاعت لربها وحقت، فبعد أن كانت مدورة صارت ممتدة امتداداً واحداً.

ثم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ كل إنسان مؤمن وكافر ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾

الكادح: هو الساعي بجد ونوع مشقة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، يعني فأنت ملاقي ربك عن قرب.

ثم قسم الله ﷻ الناس عند ملاقاته تعالى إلى قسمين: منهم من يأخذ كتابه بيمينه، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ والذي يؤتيه يُحتمل أنه الملائكة أو غير ذلك، لا ندري ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ يحاسبه الله تعالى كما جاءت بذلك السنة: أن الله ﷻ يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه، فيقول: عملت كذا، عملت كذا، ويقر بذلك ولا ينكر، فيقول الله تعالى: «قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»، وهذا حساب يسير يظهر فيه منّة الله على العبد وفرحه بذلك واستبشاره ﴿وَيَنقَلِبُ﴾ من الحساب ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ وفي الحديث أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم هم بعد ذلك درجات، وهذا يدل على سرور القلب؛ لأن القلب إذا سُر استنار الوجه.

ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره - وهم الأشقياء والعياذ بالله - : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ وفي آية أخرى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]. والأقرب - والله أعلم - أنه يؤتى كتابه بالشمال، ولكن تلوى يده حتى تكون من وراء ظهره إشارة إلى أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ يدعو على نفسه: واثبوراه، يا ويلاه وما أشبه ذلك من كلمات الندم والحسرة ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يصلى النار التي تسعر به ويكون مخلداً فيها أبداً لأنه كافر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في الدنيا ﴿فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ ولكن هذا السرور أعقبه الندم والحزن الدائم ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ أي ألا يرجع بعد الموت، ولهذا كانوا ينكرون البعث. قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي سيحور ويرجع ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ﴾ بأعماله ﴿بَصِيرًا﴾ وسوف

يحاسبه عليها على ما تقتضيه حكمته وعدله.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ قَسَمٌ بالحمرة التي تكون بعد غروب الشمس ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ وما جمع، لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك، تجتمع وتخرج وتبرز من جحورها وبيوتها، وكذلك ربما يشير إلى اجتماع الناس بعضهم إلى بعض ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ إذا اجتمع نوره وتم وكمل في ليالي الإبدار ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ والخطاب لجميع الناس، أي لتحولن حالاً عن حال، فالأحوال تتغير: أحوال الزمان (فيوم يكون فيه السرور والانشراح ويوم آخر يكون بالعكس)، وأحوال المكان (ينزل اليوم منزلاً، وفي اليوم التالي منزلاً آخر، وثالثاً ورابعاً إلى أن تنتهي به المنازل في الآخرة)، وأحوال الأبدان (من ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة)، وأحوال القلوب (تارة يتعلق القلب بشيء من الدنيا، بالمال، بالنساء، بالقصور والمنازل، بالمركوبات والسيارات، ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يتعلق بالله سبحانه وتعالى) وأحوال القلوب هي أعظم الأحوال الأربع. ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أي شيء يمنعهم من الإيمان، وأي شيء يضرهم إذا آمنوا؟ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾ السجود هنا بمعنى الخضوع لله وإن لم تسجد على الأرض، لكن يسجد القلب ويلين ويذل[1] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي أن تركهم السجود كان بسبب تكذيبهم لما جاءت به الرسل ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بما يجمعون من أقوال، وأفعال، وضغائن، وعداوات، وأموال

(١) وسجود التلاوة سنة مؤكدة، فإذا مررت بآية سجدة فاسجد في أي وقت كنت، فإذا سجدت خارج الصلاة، تكبر عند السجود، وإذا رفعت فلا تكبر ولا تسلم، أما إن سجدت في الصلاة فلابد أن تكبر إذا سجدت وأن تكبر إذا نهضت. قاله الشيخ.

ضد الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم قال: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لابد أن يكون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي لكن الذين آمنوا بقلوبهم واستلزم إيمانهم قيامهم بالعمل الصالح، لهم ثواب غير مقطوع، ولا يلحقهم به مَنٌّ ولا أذى. والعمل الصالح ما جمع شيئين: الإخلاص لله تعالى، بأن لا يريد بعمله إلا وجه الله ﷻ وابتغاء مرضاته وثوابه والنجاة من النار، فلا يريد شيئاً من الدنيا وزينتها. وأن يكون متبعاً في عمله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعلاً لما فعل، وتركاً لما ترك.

وَالسَّمَاءِ

تفسير سورة البروج

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ يقسم تعالى بالسماء صاحبة البروج، والبروج المجموعة العظيمة من النجوم، سميت بروجاً لعلوها وظهورها. وله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، أما نحن فلا نقسم إلا بالله ولا نقسم بشيء من المخلوقات، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ يوم القيامة، وعد الله تعالى به في كتابه ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون منهم: محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شهيدٌ علينا ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، ومنهم: هذه الأمة شهداء على الناس ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر، ومنهم: الملائكة يشهدون يوم القيامة، فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله ﴿وَشَاهِدٍ﴾. وأما (المشهود) فهو يوم القيامة وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ

مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

﴿قُتِلَ﴾ أهلك، وقيل: لعن وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وهم قوم كفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم ولكنهم عجزوا، فحفروا حُفراً ممدودة في الأرض كالنهر، وجمعوا الحطب الكثير وأحرقوا المؤمنين بها ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ أي الحطب الكثير المتأجج ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ يعني أن هؤلاء الذين حفروا الأخاديد وألقوا فيها المؤمنين كانوا ـ والعياذ بالله ـ عندهم قوة وجبروت، يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود عليها على الأسرة، فكهون كأن شيئاً لم يكن ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور لا يغيب عنهم ما فعلوه بالمؤمنين، ولذلك استحقوا هذه العقوبة أن الله أهلكهم ولعنهم وأبعدهم عن رحمته ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ أي ما أنكر هؤلاء الذين سعروا النار بأجساد هؤلاء المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله ﷻ العزيز الذي له الغلبة والعزة والقهر على كل أحد، الحميد بمعنى المحمود على كل حال، أو الحامد فإنه سبحانه وتعالى يحمد من يستحق الحمد، فهو جل وعلا حامد ومحمود. وهذا الإنكار أحق أن يُنْكَر؛ لأن المؤمن بالله يجب أن يُسَاعد وَيُعَان، وأن تُسهل له الطرق، أما أن يُمْنَع ويُرْدَع حتى يصل الحد إلى أن يُحرق بالنار فلا شك أن هذا عدوان كبير.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ﴾ اختص بملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﷻ على كل شيء، ومن جملته ما يفعله هؤلاء الكفار بالمؤمنين من الإحراق بالنار، وسوف يجازيهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بصدهم عن سبيل الله والإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ قال بعض السلف: انظر إلى حلم الله ﷻ، يحرقون أولياءه ثم

يعرض عليهم التوبة ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ لأنهم أحرقوا أولياء الله فكان جزاؤهم مثل عملهم جزاء وفاقاً، وشتان بين نار الدنيا ونار الآخرة.

وفي هذه الآيات من العبر :

١- أن الله سبحانه وتعالى قد يسلط أعداءه على أوليائه - بانتهاك الأعراض وإتلاف الأموال وتجويع الصغار والعجائز - ولله تعالى في هذا حكمة: المصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم، وهؤلاء الكفار المعتدون يستدرجهم من حيث لا يعلمون، والمسلمون الباقون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانهم .

٢- ومنها : أن هؤلاء الكفار لم يأخذوا على المسلمين بذنب إلا شيئاً واحداً وهو: أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، وهذا ليس بذنب، بل هذا هو الحق، ومن أنكره فهو الذي يُنكر عليه .

٣- وفي الآية : إشارة إلى أن التوبة تهدم ما قبلها إذا كانت في وقت تُقْبَل فيه، لأنه لا تقبل التوبة إذا حضر الموت ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]. ولا تقبل إذا طلعت الشمس من مغربها، فإن الشمس إذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا، لكن الله يقول ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ولما ذكر عقاب المجرمين ذكر ثواب المؤمنين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ التي بنيت على الإخلاص لله وإتباع شريعة الله ﴿لَهُمْ﴾ عند الله ﴿جَنَّـٰتٌ﴾ وذلك بعد البعث ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ من تحت أشجارها وقصورها وإلا فهي على السطح فوق، تجري حيث

يوجهها الإنسان ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الجنات وما فيها من النعيم ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي به النجاة من كل مرهوب وحصول كل مطلوب. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ أخذه بالعقاب وانتقامه ﴿لَشَدِيدٌ﴾ قوي عظيم لمن يستحق ذلك، أما من لا يستحق ذلك فإن الله يعامله بالرحمة والكرم والجود، فما أكثر ما يعفو الله عن الذنوب ويستر من العيوب ويدفع من النقم ويجري من النعم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ يعني أن الأمر إليه ابتداء وإعادة، يبدأ كل شيء، ويعيد كل شيء ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الساتر لذنوب عباده المتجاوز عنها ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ من الود، وهو خالص المحبة، فهو جل وعلا محبوب يحبه أولياؤه، وهو حاب يحب الأعمال، ويحب الأشخاص، ويحب الأمكنة، فهو واد ومودود. ثم بين عظمته وتمام سلطانه في قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي صاحب العرش، وهو عرش عظيم استوى عليه الرحمن جل وعلا، وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها، ولا أحد يقدر سعته، وهو سقف المخلوقات كلها. ﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ وصف للرب ﷻ، والعرش مجيد أيضا ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ لأن له ملك السماوات والأرض ولا يمنعه أحد من أن يفعل في ملكه ما يشاء، فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصح أن يتوجه إليه بالخطاب، والاستفهام للتنبيه، لأن الشيء إذا جاء بالاستفهام انتبه له الإنسان أكثر ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ فسره بقوله ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ يعني هل أتاك خبرهم؟ والجواب: نعم. فرعون ملك مصر أغرقه الله، أما ثمود فإن الله أعطاهم قدرة وقوة، وعندما كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام أهلكهم برجفة وصيحة. وكان من نبأ فرعون وثمود فائدتان:

الأولى: تسلية النبي ﷺ وتقويته وأن الذي نصر رسله من قبل يؤيده

وينصره. والثانية : تهديد ووعيد شديد لقريش الذين كذبوا رسول الله ﷺ ووقفوا له بالمرصاد.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ كأنهم منغمسون في التكذيب والتكذيب محيط بهم من كل جانب، ويشمل كل من كفر بالله ورسوله سواء كان من المشركين أو من اليهود أو النصارى أو غيرهم؛ وذلك لأن اليهود والنصارى الآن وبعد بعثة الرسول ﷺ ليسوا على دين مرضي عند الله ولا تنفعهم أديانهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ بهم من كل جانب لا يشذون عن علمه وسلطانه وعقابه، ولكن الله ﷻ قد يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ ذو عظمة ومجد، وهو وصف للقرآن ولمن تحمل هذا القرآن وقام بواجبه، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة ﴿فِى لَوْحٍ﴾ عند الله ﷻ، كتب به مقادير كل شيء، ومن جملة ما كتب به أن هذا القرآن سينزل على محمد ﷺ ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ لا يناله أحد، محفوظ عن التغيير والتبديل.

هذه السورة العظيمة ابتدأها الله تعالى بالقسم بالسماء، وأنهاها بقوله ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾، فمن تمسك بهذا القرآن العظيم فله المجد والرفعة.

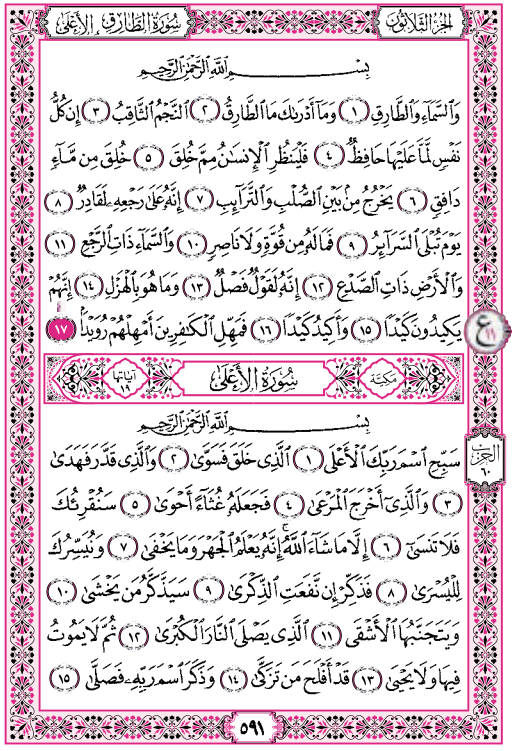

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ
دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧) إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ (٨)
يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ (٩) فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ (١١)
وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا (١٧) ع

سُورَةُ ٱلْأَعْلَىٰ — مكية — آياتها ١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ — الحزب ٦٠
(٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥)

بَلْ

تفسير سورة الطارق

إقسام الله تعالى بما يقسم به من خلقه يدل على عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ، لأن عِظم المخلوق يدل على عِظم الخالق.

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ وهو كل ما علاك، حتى السحاب الذي ينزل منه المطر يسمى سماءً.

﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ قسم ثان ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ فسره الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ والنجم يحتمل أن يكون المراد به جميع النجوم، ويحتمل أنه النجم اللامع، لأنه يثقب الظلام بنوره. وهذه النجوم من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ الدالة على كمال قدرته في سيرها وانتظامها واختلاف أشكالها ومنافعها، فهي زينة للسماء، ورجومٌ للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

ثم بين الله المقسم عليه بقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ يعني ما كل نفس إلا عليها حافظ من الله، يحفظ عمل بني آدم ما له وما عليه، سواء كان ظاهراً كأقوال اللسان وأعمال الجوارح أو باطناً حتى ما في

القلب مما يعتقده الإنسان فإنه يكتب عليه. وهناك حفظة آخرون ذكرهم الله في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر الاعتبار، يعني ليفكر الإنسان ببصيرته ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ هل خلق من شيء قاسٍ قوي؟ الجواب: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ وهو ماء الرجل، ماء مهينٌ ضعيفُ السيلان قليلٌ، والعجب أن خلق الإنسان من هذا الماء المهين، ثم يكون قلبه أقسى من الحجارة ـ والعياذ بالله ـ إلا من ألان الله قلبه لدين الله. ثم بين أن هذا الماء الدافق ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ من بين صلب الرجل وترائبه أي أعلى صدره، وهذا يدل على عمق مخرج هذا الماء وأنه من مكان مكين في الجسد ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله ﷻ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على رجع الإنسان ﴿لَقَادِرٌ﴾ وذلك يوم القيامة، لقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ فالذي قَدَر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء، قادر على أن يعيده يوم القيامة، يوم تختبر السرائر أي القلوب، فإن الحساب يوم القيامة على ما في القلوب، والحساب في الدنيا على ما في الجوارح، فعلينا أن نعتني بقلوبنا وأعمالها، وعقائدها واتجاهاتها، وإصلاحها وتخليصها من شوائب الشرك والبدع والحقد والبغضاء وكراهة ما أنزل الله على رسوله وكراهة الصحابة رضي الله عنهم، وغير ذلك مما يجب تنزيه القلب عنه.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ يعني يوم القيامة ما للإنسان من قوة ذاتية ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ وهي القوة الخارجية، هو بنفسه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولا أحد يستطيع أن يدافع عنه.

بعد أن ذكر الله تعالى الأقسام ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ إلى آخره... قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾ هذا هو القَسَمُ الثاني للسماء، والمناسبة بين القَسَمَيْن ـ والله أعلم ـ أن الأول فيه إشارة إلى النجم الذي تُرمى به

الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي ذلك حفظ لكتاب الله ﷻ، أما هنا فأقسم بالسماء ذات الرجع أن هذا القرآن قول فصل، فصار القسم الأول مناسبته أن فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن القرآن حياة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾﴾ أي ذات المطر، يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾﴾ ذات التشقق بخروج النبات منها، فأقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوۡلٞ﴾ وهو قول الله ﷻ فهو الذي تكلم به، وألقاه إلى جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم نزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿فَصۡلٞ﴾ يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل أي قاطع لكل من ناوأه وعاداه ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾ باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر ﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني الكفار المكذبين للرسول ﷺ ﴿يَكِيدُونَ﴾ للرسول عليه الصلاة والسلام ولمن اتبعه ﴿كَيۡدٗا﴾ عظيماً. وانظر ماذا كانوا يفعلون بالمؤمنين أيام كانوا في مكة من التعذيب والتوبيخ والتشريد، هاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة، ثم هاجروا إلى المدينة كل ذلك فراراً بدينهم، وأعظم ما فعلوه بالنبي عليه الصلاة والسلام حين الهجرة، حيث اجتمع رؤساؤهم وأشرافهم يتشاورون، واختاروا عشرة شبان من قبائل متفرقة حتى يقتلوا محمداً قتلة رجل واحد، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل، فلم تستطع بنو هاشم أن تقتص من القبائل كلها فيرضخون إلى أخذ الدية، وأجمعوا على هذا الرأي ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾ ولكن النبي ﷺ خرج من الباب وهم جلوس ولم يشاهدوه، وذكر

التاريخ أنه جعل يذر التراب على رؤوسهم إذلالاً لهم، ويقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]. وقال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ يعني يحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم قال ﷻ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ مهل وأمهل معناهما واحد، يعني انتظر بمهلة ليست طويلة ﴿رُوَيْدًا﴾ أي قليلاً.

وفي هذه الآية تهديد لقريش، وتسلية للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ووعد له بالنصر. وحصل الأمر كما أخبر الله ﷻ، خرج النبي عليه الصلاة والسلام مهاجراً منهم، وحصل بينه وبينهم حروب، وبعد أقل من ثماني سنوات دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً منصوراً.

تفسير سورة الأعلى

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الخطاب خاصٌ بالرسول ﷺ لفظاً، عامٌ له وللأمة حكماً ﴿سَبِّحِ﴾ يعني نزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته من سوء وعيب ونقص.

﴿ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ معناها: سبح ربك ذاكراً اسمه، يعني لا تسبحه بالقلب. والرب معناه الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، والمشركون يقرون بذلك لكن يعبدون معه غيره ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ من العلو، وعلو الله ﷻ علو صفة، فإن أكمل الصفات لله ﷻ، وعلو ذات، فالله تعالى فوق عباده مستو على عرشه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أوجد كل المخلوقات من العدم

﴿فَسَوَّىٰ﴾ ما خلقه على أحسن صورة على الوجه الذي يكون لائقاً به، فإذا علمنا أن الله هو الخالق فنحن نلجأ في أمورنا كلها إليه ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ كل شيء في حاله ومآله وذاته وصفاته، كل شيء له قدر محدود، فالآجال محدودة، والأحوال محدودة، والأجسام محدودة ﴿فَهَدَىٰ﴾ يشمل (الهداية الكونية) : أن الله هدى كل شيء لما خلق له ، فالطفل يهديه الله ﷻ إلى الثدي يرتضع منه، وأدنى الحشرات – النمل مثلاً – لا تصنع بيوتها إلا في مكان مرتفع من الأرض تخشى من السيول تدخل بيوتها فتفسدها، وإذا جاء المطر وكان في جحورها أو بيوتها طعام من الحبوب تخرج به إذا طلعت الشمس تنشره لئلا يعفن، وهي قبل أن تدخره تأكل أطراف الحبة لئلا تنبت فتفسد عليهم، من الذي هداها لذلك؟ إنه الله ﷻ. و(الهداية الشرعية) ـ وهي الأهم بالنسبة لبني آدم ـ بينها الله ﷻ، وإذا علمنا أنه هو الهادي فإننا نستهدي بهدايته وبشريعته حتى نصل إلى ما أعد لنا ربنا ﷻ من الكرامة.

[﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبت أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم، ثم بعد أن استكمل ما قدر له، ألوى نباته، وصوَّح[1] عشبه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ أي : أسود، أي: جعله هشيمًا رميمًا][2].

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه يقرئه القرآن ولا ينساه الرسول ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن تنساه، فإن الأمر بيده ﷻ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ

(١) يبس حتى تشقق (المعجم الوسيط).

(٢) الآيتان مابين المعكوفين لم يتعرض لهما الشيخ بالتفسير ولم تذكرا في المطبوع، فأثبتهما ونقلت تفسيرهما من تفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وهو شيخ الشيخ ابن عثيمين، رحمهما الله تعالى.

﴿مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]. وربما نُسّي النبي ﷺ آية من كتاب الله ولكنه سرعان ما يذكرها عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ ما يتكلم به الإنسان مسموعاً ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ما يكون خفيًّا لا يظهر فإن الله يعلمه، كما قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ وهذا أيضاً وعد من الله ﷻ لرسوله عليه الصلاة والسلام أن تكون أموره ميسرة، ولاسيما في طاعة الله ﷻ. ثم أمره تعالى أن يُذَكِّر فقال: ﴿فَذَكِّرْ﴾ الناس، ذكرهم بآيات الله وذكرهم بأيام الله ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ المعنى ذكر بكل حال، فلابد من التذكير حتى وإن ظننت أنها لا تنفع، فإنها سوف تنفعك أنت، وسوف يعلم الناس أن هذا الشيء الذي ذكرت به إما واجب، وإما حرام، وإذا سكتَّ والناس يفعلون المحرم، قال الناس: لو كان هذا محرماً أو لو كان هذا واجباً لذكَّر به العلماء، فلابد من نشر الشريعة سواء نفعت أم لم تنفع[1].

ثم ذكر الله ﷻ من سَيَذَّكَّر ومن لا يتذَكَّر فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الله ﷻ، أي يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق جل وعلا ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ يتجنب الذكرى ولا ينتفع بها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ البالغ في الشقاوة غايتها وهو الكافر ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ لأن نار الدنيا صغرى بالنسبة لها، فقد صح عن النبي ﷺ: «أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة». ثم إذا صلاها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ ميتة يستريح بها ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة يسعد بها، فهو في عذاب وجحيم وشدة، يتمنى الموت ولكن لا يحصل له.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ الفلاح: هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، فهي كلمة جامعة لكل خير، دافعة لكل شر ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ والتزكي كلمة عامة

---

(١) أي سواء نفعت الذكرى بالشريعة والفضيلة أم لم ينفع التذكير بها (المُخْتَصِر)

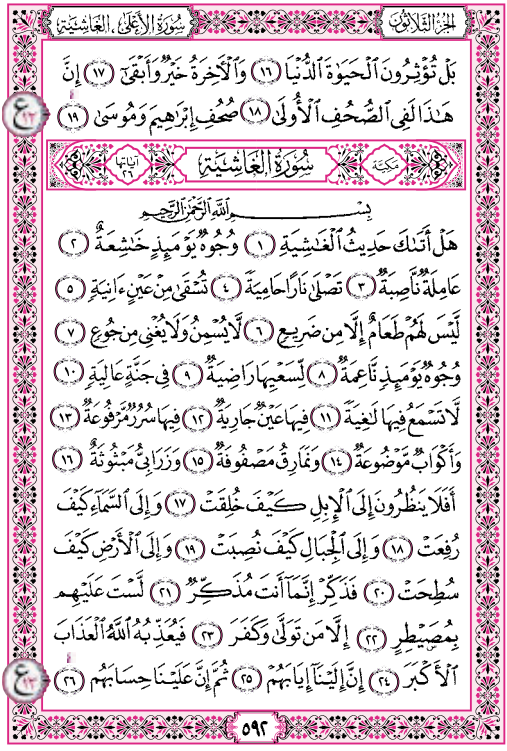

تشمل التطهر من كل درن ظاهر أو باطن (في حق الله تعالى): يتزكى من الشرك فيعبده مخلصاً له الدين. (وفي حق الرسول): يتزكى من الابتداع فيعبد الله على مقتضى شريعة النبي ﷺ في العقيدة، والقول، والعمل. (وفي معاملة الناس): يتزكى من الغل والحقد والعداوة والبغضاء ويفعل كل ما فيه المودة والمحبة ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ذكر الله، وذكر سبحانه وتعالى (الاسم) من أجل أن يكون الذكر باللسان ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي كلما ذكر الإنسان اسم الله اتعظ وأقبل إلى الله وصلى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ انتقل سبحانه وتعالى ليبين حال الإنسان أنه مؤثر للحياة الدنيا، وهي في الحقيقة على وصفها دنيا، (دنيا زمناً) لأنها سابقة على الآخرة ومتقدمة عليها، و(دنيا وصفا) أي ناقصة، فإن الدنيا مهما طالت فإن منتهاها الفناء ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من الدنيا بما فيها من النعيم والسرور الدائم الذي لا ينغص بكدر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ من الدنيا؛ لأن بقاء الدنيا قليل زائل مضمحل، بخلاف بقاء الاخرة فإنه أبد الآبدين ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي ما تضمنته الآيات من المواعظ ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ

﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ السابقة على هذه الأمة ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ وهي صحف جاء بها إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، وفيها من المواعظ ما تلين به القلوب وتصلح به الأحوال.

تفسير سورة الغاشية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ الخطاب موجه للرسول ﷺ وحده وأمته تبعٌ له، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يتأتى خطابه، والاستفهام للتشويق، ويجوز أن يكون للتعظيم، لعظم هذا الحديث عن الغاشية ﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ نبؤها وخبرها، والغاشية هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس، وهي يوم القيامة.

ثم قسم الله سبحانه وتعالى الناس في هذا اليوم إلى قسمين فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ عاملة عملاً يكون به النصب وهو التعب. قال العلماء: وذلك أنهم يكلفون يوم القيامة بجر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم كما يخوض الرجل في الوحل، فهي عاملة تعبة من العمل الذي تكلف به يوم القيامة؛ لأنه عمل عذاب وعقاب ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ تدخل نارا بلغت من حموها أن نار الدنيا كلها بما فيها من أشد ما يكون من حرارة، نار جهنم أشد منها بتسعة وستين جزءًا. ولما بَيَّن مكانهم بَيَّن طعامهم وشرابهم فقال: ﴿تُسْقَىٰ﴾ هذه الوجوه ﴿مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة، ومع هذا لا يأتي هذا الشراب بكل سهولة، أو كلما عطشوا سقوا، وإنما يأتي كلما اشتد عطشهم

واستغاثوا، وإذا قرب من وجوههم شواها وتساقط لحمها، وإذا دخل في أجوافهم قطعها، إذن لا يستفيدون منه لا ظاهراً بالبرودة ولا باطناً بالري.

أما طعامهم فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ شجر ذو شوك عظيم إذا يبس لا يرعاه ولا البهائم، وإن كان أخضر رعته الإبل ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ لا ينفع الأبدان في ظاهرها ﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ ولا ينفعها في باطنها، فهو ليس فيه إلا الشوك والتجرع العظيم والمرارة والرائحة المنتنة.

ثم ذكر الله ﷻ القسم الثاني من أقسام الناس في يوم الغاشية فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ بما أعطاها الله ﷻ من السرور والثواب الجزيل؛ لأنها علمت ذلك وهي في قبورها، فإن الإنسان في قبره يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من رَوْحِها ونعيمها ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ لعملها الذي عملته في الدنيا راضية، لأنها وصلت به إلى هذا النعيم والسرور ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ فوق السماوات السبع، ومن المعلوم أنه في يوم القيامة تزول السماوات السبع والأرضون ولا يبقى إلا الجنة والنار، فهي عالية وأعلاها ووسطها الفردوس الذي فوقه عرش الرب جل وعلا ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَاغِيَةً﴾ قولةً لاغية أو نفساً لاغية، بل كل ما فيها جد وسلام وتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وأنس وسرور لا نظير له ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ تجري حيث أراد أهلها لا تحتاج إلى حفر ساقية، ولا إقامة أخدود، وهذه العين بين الله ﷻ أنها ﴿أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ عالية يجلسون عليها ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ يعني ليست مرفوعة عنهم، بل هي موضوعة لهم متى شاءوا شربوا فيها من هذه الأنهار الأربعة ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة أو ما يتكىء عليه ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ على أحسن وجه، تلتذ

العين بها قبل أن يلتذ البدن بالاتكاء إليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ أعلى أنواع الفرش ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ منشورة في كل مكان.

الأسماء واحدة والحقائق مختلفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء فقط)، فنحن لا نعلم حقيقة هذه النعم المذكورة في الجنة وإن كنا نشاهد ما يوافقها في الاسم في الدنيا.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ يوبخ الله هؤلاء الذين أنكروا ما أخبر به عن يوم القيامة، فأنكر عليهم إعراضهم عن النظر في آيات الله تعالى التي بين أيديهم، وبدأ بالإبل؛ لأنها أكثر ما يلابس الناس في ذلك الوقت، فهم يركبونها ويحلبونها ويأكلون لحمها وينتفعون من أوبارها إلى غير ذلك من المنافع، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ كيف خلقها الله عز وجل، هذا الجسم الكبير يمشي مسافات طويلة لا يبلغها الإنسان إلا بشق الأنفس وهو متحمل، ويحمل الأثقال وهو بارك ثم يقوم في حمله لا يحتاج إلى مساعدة، والعادة أن الحيوان لا يكاد يقوم إذا حُمل وهو بارك لكن الله عز وجل أعطى الإبل قوة وقدرة من أجل مصلحة الإنسان، لأن الإنسان لا يمكن أن يحمل عليها وهي قائمة لعلوها، ومنافعها كثيرة وأهلها أعلم منا بذلك. ولم يذكر سواها من الحيوان كالغنم والبقر والظبي وغيرها لأنها أعم الحيوانات نفعاً وأكثرها مصلحة للعباد ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ يعني وينظرون إلى السماء كيف رفعت هذا الارتفاع العظيم بما فيها من النجوم والشمس والقمر وغير هذا من الآيات العظيمة، ومع هذا فليس لها عمد، مع أن العادة أن السقوف لا تكون إلا على عمد ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ هذه الجبال العظيمة التي تحمل الصخور وفيها المعادن المتنوعة وهي متجاورة، ومع ذلك تجد هذا الصخر يشتمل على معادن لا توجد فيما قرب منه من الصخر. ونصبها جل

وعلا بهذا الارتفاع لتكون رواسي في الأرض لئلا تميد بالناس، لأن الأرض في وسط الماء والماء محيط بها من كل جانب، وما ظنك بكرة تجعلها في وسط ماء سوف تتحرك وتضطرب وتتدحرج أحياناً وتنقلب أحياناً، لكن الله جعل هذه الجبال رواسي تمسك الأرض كما تمسك الأطناب الخيمة، وهي راسية ثابتة على ما يحصل في الأرض من الأعاصير العظيمة التي تهدم البنايات، بل إن من فوائدها: أنها تحجب الأعاصير العظيمة البالغة التي تنطلق من البحار أو من غير البحار لئلا تعصف بالناس ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ أي وانظروا كيف جعل الله الأرض سطحاً واسعاً ليتمكن الناس من العيش فيه بالزراعة والبناء وغير هذا، لو كانت الأرض غير مسطحة - يعني مثل الجبال يرقى لها ويصعد - لكانت شاقة ولما استقر الناس عليها، لكن الله ﷻ جعلها سطحاً ممهداً للخلق.

ثم قال ﷻ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَذَكِّرْ﴾ أمره الله أن يذكر ولم يخصص أحداً بالتذكير، أي ذكّر كل أحد في كل حال ومكان ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ يعني أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس إلا مذكراً مبلغاً، وأما الهداية فبيد الله ﷻ، وقد قام صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالذكرى والتذكير إلى آخر رمق من حياته، لم يَأْلُ جهداً في التذكير في كل موقف وفي كل زمان على ما أصابه من الأذى من قومه ومن غير قومه ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ليس لك سلطة عليهم ولا سيطرة، السلطة لله رب العالمين، وإيمانهم لهم وكفرهم ليس عليك ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ لكن من تولى وهو الإعراض، فلا يتجه للحق، ولا يقبل الحق، ولا يسمع الحق ﴿وَكَفَرَ﴾ أي استكبر ولم يقبل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ يوم القيامة، ولم يقل الأكبر من كذا، فهو

قد بلغ الغاية في الكبر والمشقة والإهانة. وهناك عذاب أصغر في الدنيا قد يبتلى المتولي المعرض بأمراض في بدنه في عقله في أهله في ماله في مجتمعه، وكل هذا بالنسبة لعذاب النار عذاب أصغر ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ مرجعهم، مهما فر الإنسان فإنه راجع إلى ربه ﷻ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ قال العلماء: وكيفية الحساب ليس مناقشة يناقش الإنسان، لأنه لو يناقشك الله ﷻ على كل حساب هلكت، لكن كيفية حساب المؤمن: أن الله تعالى يخلو به بنفسه ليس عندهما أحد ويقرره بذنوبه: فعلت كذا فعلت كذا حتى إذا أقر بها قال الله تعالى: «قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم». أما الكفار فلا يحاسبون هذا الحساب لأنه ليس لهم حسنات تمحو سيئاتهم، لكنها تحصى عليهم أعمالهم، ويقررون بها أمام العالم، وينادى على رؤوس الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

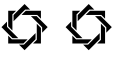

سورة الفجر — مكية — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

يَقُولُ

تفسير سورة الفجر

خمسة أشياء أقسم الله تعالى بها:

الأول: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ وهو النور الساطع الذي يكون في الأفق الشرقي قرب طلوع الشمس

والثاني: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ المراد: ليال العشر الأخيرة من رمضان، أقسم الله بها لشرفها، ولأن فيها ليلة القدر، ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو من فرائض الإسلام.

والثالث والرابع: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ قيل: إن المراد به: كل ما كان مخلوقاً من شفع ووتر وكل ما كان مشروعاً من شفع ووتر، وقيل: المراد بالشفع الخلق كلهم، والمراد بالوتر الله عز وجل، لقول النبي ﷺ: «إن الله وتر يحب الوتر»، والآية تحتمل المعنيين ولا منافاة بينهما.

والخامس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ أقسم بالليل إذا يسري ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ لذي عقل ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لكل من يوجه إليه هذا الكتاب العزيز وهم البشر كلهم والجن أيضاً ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ يعني ما

الذي فعل بهم؟ وعاد قبيلة في جنوب الجزيرة العربية، أرسل الله تعالى إليهم هوداً عليه الصلاة والسلام فبلغهم الرسالة ولكنهم عتوا وبغوا وقالوا من أشد منا قوة، ولكن الله بين أنهم ضعفاء أمام قوة الله، فأرسل عليهم الريح العقيم، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا[1] فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. وهذا الاستفهام يراد به الاعتبار، يعني: اعتبر أيها المكذب للرسول محمد ﷺ بهؤلاء كيف أُذيقوا هذا العذاب ﴿إِرَمَ﴾ اسم للقبيلة أو للقرية وقيل غير ذلك، نكل الله بهم نكالاً عظيماً مع أنهم أقوياء ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أصحاب الأبنية القوية ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ﴾[2] لم يصنع ﴿مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هو الذي غرهم وقالوا مَن أشد منا قوة؟ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ ثمود هم قوم صالح ومساكنهم معروفة الآن، أعطاهم الله قوة حتى صاروا يخرقون الجبال والصخور العظيمة ويصنعون منها بيوتاً ولهذا قال: ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي وادي ثمود، هؤلاء أيضاً فعل الله بهم ما فعل من العذاب والنكال، حيث قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثم بعد الثلاثة الأيام أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، فعلينا أن نعتبر بحال هؤلاء المكذبين[3].

---

(١) أي نحسا وشرا فظيعا عليهم فدمرتهم وأهلكتهم (المُخْتَصِر نقلا عن تفسير السعدي -سورة الحاقة آية ٧).

(٢) والخلق المنسوب إلى الله إيجاد بعد عدم وتحويل وتغيير، أما الخلق المنسوب لغير الله فهو مجرد تحويل وتغيير.

(٣) قال الشيخ: وليُعلم أن هذه الأمة لن تُهلك بما أهلكت به الأمم السابقة بهذا العذاب العام، فإن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن لا يهلكهم بِسَنَةٍ عَامّة، ولكن قد تهلك هذه الأمة بأن يجعل الله بأسهم بينهم، فتجري بينهم الحروب والمقاتلة، =

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ الذي أرسل الله إليه موسى عليه الصلاة والسلام، وكان قد استذل بني إسرائيل في مصر، يُذبِّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، لأن كهنته قالوا له إنه سيولد في بني إسرائيل رجل يكون هلاكك على يده فصار يقتل الأبناء، أو من أجل أن يُضْعِف بني إسرائيل؛ لأن الأمة إذا قُتلت رجالها واستبقيت نساؤها ذَلَّتْ بلا شك، ولا يبعد أن يكون الأمران جميعاً، ولكن بقدرة الله ﷻ أن هذا الرجل - أي موسى - الذي كان هلاك فرعون على يده، تربى في نفس بيت فرعون ﴿ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذي القوة، لأن جنوده كانوا له بمنزلة الوتد الذي تُربط به حبال الخيمة فتستقر وتثبت، فله جنود أمم عظيمة لكن الله سبحانه فوق كل شيء ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾﴾ زادوا عن حدهم واعتدوا على عباد الله ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ الفساد المعنوي، والفساد المعنوي يتبعه الفساد الحسي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ الصب معروف أنه يكون من فوق، والعذاب الذي أتى هؤلاء من فوق من عند الله ﷻ ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ السوط هو العصا الذي يضرب به، وهذا السوط الذي صبه الله تعالى على عاد وثمود وفرعون عصا عذاب أهلكهم وأبادهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو لكل من يتوجه إليه الخطاب، يبين الله ﷻ أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، سوف يعاقبه ويؤاخذه.

= ويكون هلاك بعضهم على يد بعض، لا بشيء ينزل من السماء كما صنع الله تعالى بالأمم السابقة، وعلى هذا فما حصل من المسلمين من اقتتال بعضهم بعضاً، ومن تدمير بعضهم بعضاً إنما هو بسبب المعاصي والذنوب، ولهذا يجب علينا أن نحذر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن نبتعد عن كل ما يثير الناس بعضهم على بعض، وأن نلزم دائماً الهدوء، وأن نبتعد عن القيل والقال وكثرة السؤال، وكم من كلمة واحدة صنعت ما تصنعه السيوف الباترة.

والابتلاء من الله ﷻ يكون بالخير وبالشر، فيُبتلى الإنسان بالخير ليبلوه الله ﷻ أيشكر أم يكفر، ويبتلى بالشر ليبلوه أيصبر أم يفجر ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ بطبيعته الإنسانية المبنية على الظلم والجهل ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ يعني أنني أهل للإكرام ولا يعترف بفضل الله ﷻ، ولو أنه قال: إن الله أكرمني بكذا اعترافاً بفضله وتحدثاً بنعمته لم يكن عليه في ذلك بأس. ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ ضيق عليه الرزق ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ يعني إن الله تعالى ظلمني فأهانني ولم يرزقني كما رزق فلاناً ولم يكرمني كما أكرم فلاناً، فصار عند الرخاء لا يشكر، يعجب بنفسه ويقول هذا حق لي، وعند الشدة لا يصبر بل يعترض على ربه، أما المؤمن فليس كذلك، إذا أكرمه الله ونعّمه شكر ربه على ذلك ورأى أن هذا فضل من الله ﷻ وإحسان، وليس من باب الإكرام الذي يقدم لصاحبه على أنه مستحق، وإذا ابتلاه الله ﷻ وقدر عليه رزقه صبر واحتسب وقال هذا بذنبي، والرب ﷻ لم يهني ولم يظلمني، فيكون صابراً عند البلاء، شاكراً عند الرخاء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ يعني لم يعطك ما أعطاك إكراماً لك لأنك مستحق، ولكنه تفضل منه، ولم يهنك حين قدر عليك رزقه، بل هذا مقتضى حكمته وعدله ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ يعني أنتم إذا أكرمكم الله ﷻ بالنعم لا تعطفون على المستحقين للإكرام وهم اليتامى، فاليتيم ينبغي الإحسان إليه وإكرامه لأنه انكسر قلبه بفقد أبيه ومن يقوم بمصالحه فأوصى الله تعالى به ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ لا يحض بعضكم بعضاً على أن يطعم المسكين، وإذا كان لا يحض غيره فهو أيضاً لا يفعله بنفسه ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ ما يورثه الله العبد من المال، سواء ورثه عن ميت، أو باع واشترى وكسب، أو خرج

إلى البر وأتى بما يأتي به من عشب وحطب وغير ذلك ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ما يورثه الله الإنسان من المال فإن بني آدم يأكلونه أكلاً لما[1] ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ عظيماً، وهذه هي طبيعة الإنسان، لكن الإيمان له مؤثراته، إن جاءه شكر الله عليه وأدى ما يجب، وإن ذهب لا يهتم به.

يُذَكِّر الله سبحانه وتعالى الناس بيوم القيامة ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ تُدك الجبال، ولا بناء، ولا أشجار، تمد الأرض كمد الأديم، يكون الناس عليها في مكان واحد في هذا اليوم. وذكر الله سبحانه وتعالى ما يكون في هذا اليوم فقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ أي جميع الملائكة يأتون صفًّا بعد صف يحيطون بالخلق، والخلق لا يمكن أن يفروا يميناً ولا شمالاً، لكن إظهاراً لعظمة الله وتهويلاً لهذا اليوم العظيم. وهذا اليوم يوم مشهود يشهده الملائكة والإنس والجن والحشرات وكل شيء، فهو يوم عظيم لا ندركه الآن ولا نتصوره لأنه أعظم مما نتصور ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام منها يقوده سبعون ألف ملك، إذاً هي عظيمة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ يعني إذا جاء الله في يوم القيامة يتذكر الإنسان أنه وُعِدَ بهذا اليوم، وأنه أُعْلِمَ به مِن قِبَلِ الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنذروا وخوفوا، ولكن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن ولو جاءته كل آية، حينئذ يتذكر لكن أين يكون له الذكرى في هذا اليوم الذي رأى فيه ما أخبر عنه يقيناً؟! وأنى له الاتعاظ فات الأوان؟! والإيمان عن مشاهدة لا ينفع لأن كل إنسان يؤمن بما شاهد، الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. ﴿يَقُولُ﴾ الإنسان ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ يتمنى أنه قدم لحياته

(١) أي لا تُبْقُون على شيء منه (المختصر نقلا عن تفسير السعدي).

وَٱلشَّمۡسِ

ولكنه لا يحصل، والحياة الدنيا انتهت وقضت، الحياة هي ما بينه الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ﴾ يعني لهي الحياة التامة ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾ أي لا يعذب عذاب الله أحد، بل عذاب الله أشد، ولا يوثق وثاق الله أحد، بل هو أشد، لأنهم ـ والعياذ بالله ـ يوثقون ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢]. أي أدخلوه في هذه السلسلة فتغل أيديهم ـ نسأل الله العافية ـ ولا أحد يتصور الآن ما هم فيه من البؤس والشقاء والعذاب.

ثم ختم الله تعالى هذه السورة بما يبهج القلب ويشرح الصدر فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ المؤمنة الآمنة ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ﴾ بما أعطاك الله من النعيم ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ عند الله عَزَّ وَجَلَّ، يقال هذا القول للإنسان عند النزع في آخر لحظة من الدنيا، يقال لروحه: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى رحمة من الله ورضوان، فتستبشر وتفرح ويسهل خروجها من البدن، لأنها بُشِّرَت بما هو أنعم مما في الدنيا كلها ﴿فَٱدۡخُلِي فِي

عِبَدِى ﴿٢٩﴾﴾ الذين أنعم الله عليهم وهم: النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ أضافها الله إلى نفسه للدلالة على شرفها وعنايته بها وتعظيما لها، وهذا يوجب للإنسان أن يرغب فيها غاية الرغبة.

تفسير سورة البلد

﴿لَا﴾ لاستفتاح الكلام وتوكيده ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ يعني أنا أقسم بهذا البلد، وكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظماً لدى الحالف. والبلد هنا مكة، أقسم الله بها لأنها أعظم بقاع الأرض حرمة وأحبها إلى الله ﷻ، فجدير بهذا البلد الأمين أن يُقْسَمَ به ولكن نحن لا نُقْسِم به لأنه مخلوق، وليس لنا الحق أن نقسم بمخلوق، كما قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، أما الله ﷻ فإنه سبحانه يقسم بما شاء. ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ قيل المعنى أُقْسِم بهذا البلد حال كونك حالّاً فيه، لأن حلول النبي ﷺ في مكة يزيدها شرفاً إلى شرفها. وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، أي حال كونها حلّاً للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك عام الفتح؛ لأنها أُحِلَّت للرسول ولم تُحَل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده، وأشرف حال لمكة كانت عند الفتح حيث طُهِّرت من الأصنام وهُزِم المشركون وفتحت عليهم بلادهم عنوة، وصارت بلاد إيمان وتوحيد بعد أن كانت بلد كفر وشرك ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ يعني وأقسم بكل والد وما ولد، الإنسان والبهائم وكل شيء، لأن الوالد والمولود كلاهما من آيات الله ﷻ، كيف يخرج هذا المولود حيًّا سويًّا

سميعاً بصيراً من نطفة من ماء، فهذا دليل على كمال قدرة الله ﷻ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد ﴿فِى كَبَدٍ﴾ مكابدة الأشياء ومعاناتها، في أمور الدنيا وفي طلب الرزق وفي إصلاح الحرث وغير ذلك. ويعاني أيضا معاناة أشد مع مجاهدة نفسه على طاعة الله واجتناب المعاصي ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ أي أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يقدر عليه أحد، لأنه في عنفوان شبابه وقوته وكبريائه وغطرسته، أما المؤمن فإنه يعلم أن الله قادر عليه وأنه على كل شيء قدير فيخاف منه ﴿يَقُولُ﴾ الإنسان أيضاً في حال غناه وبسط الرزق له ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي مالاً كثيراً في شهواته وفي ملذاته ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المال وصرفه في ما لا ينفع، وكل هذا تهديد ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يضبط بهما النطق، وهذه من نعم الله العظيمة إذ يستطيع أن يعبر عما في نفسه. وهو أيضاً من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يخرج من مخارج معينة، إن مر بشيء صار حرفاً، وإن مر بشيء آخر صار حرفاً آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق وفي الشفتين وفي اللثة هذه الشَّعرَات تُكَوِّن الحروف، هذا من تمام قدرة الله ﷻ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ بينا له طريق الخير وطريق الشر، وأيضا دللناه على ما به غذاؤه وهو الثديان؛ فإنهما نجدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه الله تعالى وهو رضيع لا يعرف.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي الإنسان الذي كان يقول «أهلكت مالا لبدا» هلا اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقة و(العقبة) هي الطريق في الجبل الوعر ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾ الاستفهام للتشويق والتفخيم

يعني: ما الذي أعلمك شأن هذه العقبة؟ بينها الله في قوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ فكها من الرق أو الأسر ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ يعني وإما إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة ﴿يَتِيمًا﴾ وهو من مات أبوه قبل أن يبلغ ذكرا كان أو أنثى ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ذا قرابة من الإنسان، لأنه إذا كان يتيما كان له حظ من الإكرام والصدقات، وإذا كان قريبا ازداد حظه من ذلك لأنه يكون واجب الصلة ﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ وهو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ المتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء لا مال ولا طعام ولا كساء إلا التراب ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم هو بعد ذلك ليس محسناً على اليتامى والمساكين فقط، بل هو إيمان بكل ما يجب الإيمان به، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله المؤلمة ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أوصى بعضهم بعضاً أن يرحم الآخر، يرحم سائر البشر ويرحم الحيوان البهيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أصحاب اليمين، الذين يُؤتون كتابهم يوم القيامة بأيمانهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ جحدوا بها ﴿هُمْ﴾ للتوكيد ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ يعني الشمال أو الشؤم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ مغلقة، لا يخرجون منها ولا يستطيعون.

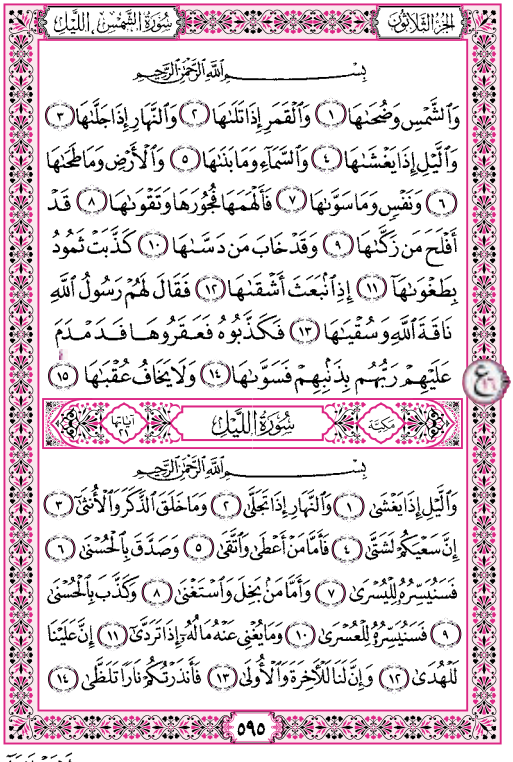

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾
وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا
﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ
أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ
نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيۡلِ — مكية — آياتها ٢١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا
لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

لَا يَصۡلَىٰهَآ

تفسير سورة الشمس

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وهو ضوؤها، لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال علمه ورحمته. فكم توفر من طاقة كهربائية؟ وكم يحصل للأرض من حرارتها من نضج الثمار وطيب الأشجار؟ ويحصل فيها فوائد كثيرة غالبها يتعلق في علم الفلك وعلم الأرض والجيولوجيا ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ في السير أو تلاها في الإضاءة ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ إذا بَيَّنَ الأرض ووضَّحَهَا ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ إذا يغطي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾ قال المفسرون: أي: والسماء وبنائها؛ لأن السماء عظيمة بارتفاعها وسعتها وقوتها، وبناؤها محكم ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾ يعني: وما سواها حتى كانت مستوية ليست لينة جداً وليست صلبة جداً، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذا من نعمة الله سبحانه

وتعالى على عباده ﴿وَنَفْسٍ﴾ يعني كل نفس ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ سواها خِلْقَةً حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه ويناسب حاله. وكذلك سواها فطرةً - ولا سيما البشر -، فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ ألهم هذه النفوس ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بدأ بالفجور قبل التقوى مع أن التقوى لا شك أفضل، قالوا: مراعاة لفواصل الآيات. والتقوى طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاص فهو فاجر. وإن كان الفاجر خُصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله. وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ زكى نفسه بإخلاصها من الشرك وشوائب المعاصي ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ من أرداها في المهالك والمعاصي.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ ثمود اسم قبيلة، كذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام، ونبيهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأعطاه الله سبحانه آية تدل على نبوته وهي الناقة العظيمة التي تشرب من البئر يوماً وتسقيهم لبناً في اليوم الثاني، ولكن لم تنفعهم هذه الآية ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي بسبب كونها طاغية كذبت الرسول ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ هذا بيان للطغيان الذي ذكره الله ﷻ، وذلك حين انطلق بسرعة أشقى ثمود يريد أن يقضي على الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا﴾ أي ذروا ناقة الله لا تقتلوها ولا تتعرضوا لها بسوء، ولكن كانت النتيجة بالعكس ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كذبوا صالحاً وقالوا إنك لست برسول ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقروا الناقة عقراً حصل به

الهلاك ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أطبق عليهم فأهلكهم ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم، فالذنوب سبب للهلاك والدمار والفساد ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ عمها بالهلاك حتى لم يبق منهم أحد وأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ يعني: أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين عذبهم، ولا يخاف من تَبِعَتِهِم، لأن له الملك وبيده كل شيء.

تفسير سورة الليل

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامه ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ بان وظهر وذلك بطلوع الفجر ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ أقسم بخلق الذكر والأنثى أو والذي خَلَق الذكر والأنثى وهو الله ﷻ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ لمتفرق تفرقاً عظيماً.

فالله ﷻ أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صالح وسيىء، فالمعنى أن اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح ومنها الفاسد ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله ﷻ.

ثم فصّل هذا السعي المتفرق فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ ما أُمِرَ بإعطائه من مال أو جاه أو علم ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ما أُمِرَ باتقائه من المحرمات ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ بالقولة الحسنى وهي قول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ في أمور دينه ودنياه كلها، وكلما كان الإنسان أتقى لله كانت أموره أيسر له، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ

﴿يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. وكلما كان الإنسان أبعد عن الله كان أشد عسراً في أموره، ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ فلم يُعْطِ مَا أُمِرَ بإعطائه ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن الله ﷻ ولم يتق ربه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ في أموره كلها[1]. ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ يعني: أي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به وهلك؟ لا يغني شيئاً.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ فيه التزام من الله ﷻ أن يبين للخلق ما يهتدون به إليه. والمراد بالهدى هنا: هدى البيان والإرشاد والدلالة حتى لا يكون للناس على الله حجة، وإذا نظرنا وجدنا أن الله تعالى بين كل شيء، بين ما يلزم الناس في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات، وما يجب عليهم اجتنابه في هذا كله ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخرها لأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماماً، ومراعاة للفواصل يعني: أواخر الآيات كلها آخرها ألف. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تشتعل ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يحترق بها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ ثم بين هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ الخبر ولم يصدق، قال: لا أُبْعَث، ليس هناك جنة ونار ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعة الله وعما جاءت به رسله، فهذا هو الشقي ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يجنب

---

(١) قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع: ولكن قد يأتي الشيطان للإنسان فيقول: نجد أن الكفار تيسر أمورهم فيقال: نعم. قد تيسر أمورهم، لكن قلوبهم تشتعل ناراً وضيقاً وحرجاً كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ثم ما ينعمون به فهو تنعيم جسد فقط لا تنعيم روح، ثم هو أيضاً وبال عليهم، وهؤلاء عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ومع ذلك فإن هذه الدنيا جنة لهم بالنسبة للآخرة.

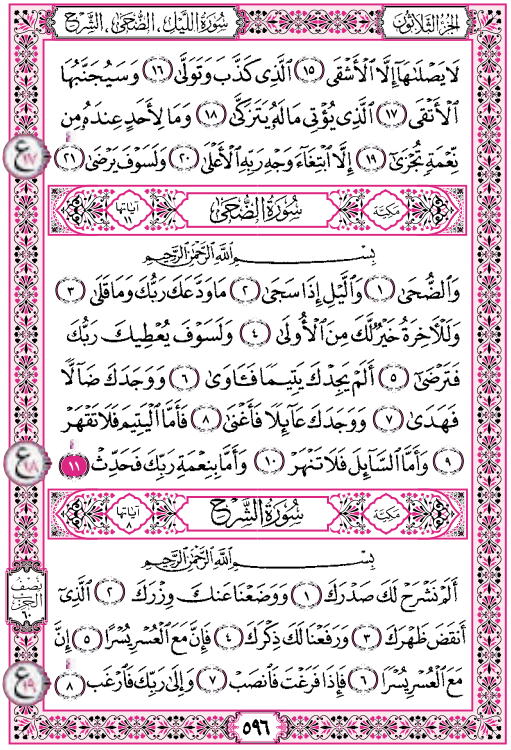

الجزء الثلاثون — سورة الليل، الضحى، الشرح

لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١

سُورَةُ الضُّحَىٰ — مكية — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١

سُورَةُ الشَّرۡحِ — مكية — آياتها ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨

نصف الحزب ٦٠

٥٩٦

وَٱلتِّينِ

النار ﴿ٱلۡأَتۡقَى﴾ الذي اتقى الله تعالى حق تقاته ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾ يعطي ماله من يستحقه على وجه يتطهر به، فلا يبذر ولا يبخل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩﴾ يعني أنه لا يعطي المال مكافأة على نعمة سابقة من شخص، فليس لأحد عليه فضل، ولكنه يعطي ابتغاء وجه الله ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ أي طلب الوصول إلى دار كرامة الله التي يكون بها رؤية الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ سوف يرضيه الله عزَّ وجلَّ بما يعطيه من الثواب الكثير.

تفسير سورة الضحى

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ أقسم الله تعالى بشيئين: الضحى وهو أول النهار وفيه الضياء والنور، والليل إذا غطى الأرض وسدل عليها ظلامه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك وأهملك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ وما أبغض،

بل أحب الخلق إليه، قال النبي ﷺ: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) والخلة أعلى أنواع المحبة، فما تركه الله ﷻ بل أحاطه بعلمه ورحمته وعنايته وغير ذلك مما يقتضي رفعته في الدنيا والآخرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ الآخرة هي اليوم الذي يبعث فيه الناس ويأوون إلى مثواهم الأخير إلى الجنة أو إلى النار، فيقول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ من الدنيا، وذلك لأن الآخرة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَلَسَوْفَ﴾ اللام للتوكيد، وسوف تدل على تحقق الشيء لكن بعد مهلة وزمن ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ ما يرضيك ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ ولقد أعطاه الله ما يرضيه ﷺ، فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً يحمده فيه الأولون والآخرون، حتى الأنبياء وأولوا العزم من الرسل لا يستطيعون الوصول إلى ما وصل إليه، فإذا كان يوم القيامة يعتذرون عن الشفاعة للخلق حتى تصل إلى النبي ﷺ فيقوم ويشفع، ولا شك أن هذا عطاء عظيم لم ينله أحد من الخلق.

ثم بين الله سبحانه وتعالى نعمه عليه السابقة حتى يستدل بها على النعم اللاحقة، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾﴾ يعني قد وجدك الله يتيماً من الأب - تُوفي قبل أن يولد - ويتيماً من الأم - تُوفيت قبل أن تتم إرضاعه -، فتكفل به ويسر له من يقوم بتربيته والدفاع عنه حتى وصل إلى الغاية التي أرادها الله ﷻ. فالله تعالى آواه وآوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم بل دافع عنهم سبحانه وتعالى.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي غير عالم؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي ، بل هو من الأميين ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]. ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ

وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم ﴿فَهَدَىٰ﴾ فهداك وهدى بك ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيراً لا تملك شيئاً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ فأغناك وأغنى بك ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتيم، بل أكرمه ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ أول ما يدخل في السائل، السائل عن الشريعة والعلم لا تنهره، إن نهرته نفرته، وربما يدخل في ذلك أيضاً سائل المال فلا تنهره، لكن إذا اقتضت المصلحة أن ينهر فلا بأس، فإذا عرفت أن السائل في العلم إنما يريد التعنت حتى يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فلك الحق أن تنهره تأديبا له، وكذلك إذا علمت أن الذي سألك المال غني، فلك الحق أن تنهره توبيخا له على سؤاله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ التي ذُكرت في هذه الآيات ﴿فَحَدِّثْ﴾ قل: كنتُ يتيماً فآواني الله، كنتُ ضالاً فهداني الله، كنتُ عائلاً فأغناني الله، إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم، لا افتخاراً بها على الخلق.

تفسير سورة الشرح

قال الله سبحانه وتعالى مبيناً نعمته على نبيه محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أي قد شرحنا لك صدرك، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله ﷻ بنوعيه (الشرعي): وهو الدين، وذلك بقبوله والرضا به وامتثاله، و(القدري): وهو المصائب التي تحدث على

الإنسان، أي راضياً بقضاء الله وقدره مطمئناً إليه، يقول: أنا عبد، والله رب يفعل ما يشاء، فيكون دائماً في سرور لا يغتم ولا يهتم، يتألم لكنه لا يصل إلى أن يحمل همًّا أو غمًّا ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ طرحناه وعفونا وتجاوزنا عنك إثمك ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أقضه وآلمه وأتعبه، وإذا كان هذا وزر الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف بأوزار غيره، أوزارنا تقض ظهورنا وتنقضها وتتعبها ولكن كأننا لم نحمل شيئاً، وذلك لضعف إيماننا وبصيرتنا وكثرة غفلتنا.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ رفع ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام في الأذان وفي التشهد وعند كل عبادة، لأن كل عبادة لابد فيها من المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، والمتابع سوف يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ هذا بشارة من الله ﷻ للرسول ﷺ ولسائر الأمة، وجرى على الرسول عليه الصلاة والسلام عسر حينما كان بمكة يضيق عليه، وفي الطائف، وفي المدينة من المنافقين فالله يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ يعني كما شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، ورفعنا لك ذكرك، وهذه نعم عظيمة كذلك هذا العسر الذي يصيبك لابد أن يكون له يسر.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ هذا الكلام خبر من الله ﷻ، وخبره جل وعلا أكمل الأخبار صدقاً، ووعده لا يخلف، فكلما تعسر عليك الأمر فانتظر التيسير، أما في الأمور الشرعية فظاهر، ففي الصلاة: صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب. وفي الصيام إن قدرت وأنت في الحضر فصم، وإن لم تقدر فأفطر، إذا كنت مسافراً فأفطر. في الحج إن استطعت إليه سبيلاً فحج، وإن لم

تستطع فلا حج عليك، فكل عسر يحدث للإنسان في العبادة يجد التسهيل واليسر. كذلك في تقدير الله على الإنسان من مصائب وضيق عيش وضيق صدر وغيره، فإن مع العسر يسراً، والتيسير قد يكون أمراً ظاهراً (حسيًّا)، مثل: أن يكون فقيراً فييسر الله له الغنى أو مريضا فيشفيه الله ﷻ، وهناك تيسير (معنوي) وهو معونة الله الإنسان على الصبر، وليس اليسر معناه أن ينفرج الشيء تماماً فقط، اليسر أن ينفرج الكرب ويزول وهذا يسر حسي، وأن يعين الله الإنسان على الصبر حتى يكون هذا الأمر الشديد العسير أمراً سهلاً عليه.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أعمالك ﴿فَٱنصَبْ﴾ يعني اتعب لعمل آخر، لا تجعل الدنيا تضيع عليك، إذا فرغت من عمل الدنيا عليك بعمل الآخرة، وإذا فرغت من عمل الآخرة اشتغلت بأمر الدنيا، فإذا تعبت ومللت فإن استراحتك لتنشيط نفسك يعتبر شغلاً وعملاً، المهم أن تجعل حياتك كلها جدًّا وعملاً ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ أي فارغب إلى الله ﷻ في حصول الثواب وفي الإعانة ، كن مع الله ﷻ قبل العمل تستعينه، وبعد العمل ترجو منه الثواب. وثق بأنك متى علقت رغبتك بالله ﷻ فإنه سوف ييسر لك الأمور.

تفسير سورة التين

الجزء الثلاثون — سورة التين، العلق

سُورَةُ التِّينِ — مكية — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ — مكية — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

٥٩٧

إِنَّآ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ الثمر المعروف ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ الجبل الذي كلم الله عنده موسى ﷺ ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ أقسم الله بمكة لأنها أحب البقاع إليه وأشرفها عنده. قال بعض أهل العلم: أقسم الله بهذه الثلاثة، لأن الأول ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ أرض فلسطين التي فيها الأنبياء، وآخر أنبياء بني إسرائيل هو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وبطور سينين لأنه الجبل الذي أوحى الله تعالى إلى موسى حوله، وأما البلد الأمين فهو مكة الذي بعث الله منه محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ أقسم الله تعالى أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم هيئة وخِلقة وفي أحسن تقويم فطرة وقصداً، لأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ هذه الردة خِلقة كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥] فكلما ازدادت السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة الجسدية، وفي

الهيئة الجسدية، وفي نضارة الوجه وغير ذلك. وإذا قلنا إن أحسن تقويم تشمل الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب أو تنبنى على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله ـ والعياذ بالله ـ إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى والقمة من الإيمان والعلم، والآية تشمل المعنيين جميعاً.

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين، لأنهم متمسكون بإيمانهم وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي ثواب ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع، ولا ممنون به أيضاً.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ أي شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذا البيان؟ ولهذا كلما نظر الإنسان إلى نفسه وأصله وخلقته، وأن الله اجتباه وأحسن خلقته وفطرته؛ فإنه يزداد إيماناً بالله ﷻ وتصديقاً بكتابه وبما أخبرت به رسله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ فالحكم الأكبر الأعظم الذي لا يعارضه شيء هو حكم الله ﷻ، والحكمة العليا البالغة هي حكمة الله ﷻ، فهو سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين قدراً وشرعاً، له الحكم وإليه يرجع الأمر كله.

تفسير سورة العلق

هذه الآيات أول ما نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام من القرآن الكريم، نزلت عليه وهو يتعبد في غار حراء، وهو غار في قمة الجبل لا

يكاد يصعد إليه الإنسان القوي إلا بمشقة، فكان يصعده عليه الصلاة والسلام ويتعبد لله عز وجل عدة ليال، ومعه زاد يتزود به من طعام وشراب، ثم ينزل ويتزود لمثلها من أهله، ويرجع ويتحنث لله عز وجل، إلى أن نزل عليه الوحي وهو في هذا الغار، أتاه جبريل وأمره أن يقرأ ﴿ٱقْرَأْ﴾ فقال: «ما أنا بقارىء» يعني لست من ذوي القراءة، وليس مراده المعصية لأمر جبريل، لكنه لا يستطيع، إذ أنه ﷺ كان أميًّا كما قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ فكان لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من حكمة الله، وقد أشار الله إلى هذه في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ . قال له: «ما أنا بقارىء» فغطه مرتين أو ثلاثاً، ثم قال له ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ خمس آيات نزلت فرجع بها النبي ﷺ يرجف فؤاده من الخوف والفزع حتى أتى إلى خديجة.

قوله ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ قيل معناه متلبساً بذلك، وقيل مستعيناً بذلك، يعني اقرأ مستعيناً باسم الله؛ لأن أسماء الله تعالى كلها خير وإعانة، يستعين بها الإنسان على وضوئه وعلى أكله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ كل شيء، وخص الله تعالى خلق الإنسان تكريماً له وتشريفاً فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي ابتدأ خلقه ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق عبارة عن دودة حمراء صغيرة من الدم، وهذا هو المنشأ الذي به الحياة؛ لأن الإنسان دم لو تفرغ من الدم لهلك(١).

(١) أول ما خلق الإنسان من التراب، ثم صب عليه الماء فكان طيناً، ثم استمر مدة فكان حمئاً مسنوناً، ثم طالت مدته فكان صلصالاً، إذا ضربته بيدك تسمع له صلصلة كالفخار، ثم خلقه عز وجل لحماً وعظماً وعصباً إلى آخره، هذا ابتداء الخلق المتعلق بآدم. والخَلْق الآخر من بنيه أول منشئهم من نطفة، وهي الماء المهين =

﴿كَلَّآ﴾ بمعنى حقًّا، يعني أن الله تعالى يثبت هذا إثباتاً لا مرية فيه ﴿... إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى فإنه يطغى، من الطغيان وهو مجاوزة الحد، إذا رأى أنه استغنى عن رحمة الله أو عن الله ﷻ في كشف الكربات وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي، وإذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي المرض وهكذا، لكن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائماً مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، يسأل ربه كل حاجة، ويلجأ إليه عند كل مكروه، ويرى أنه إن وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضًّرا.

ثم قال ﷻ مهدداً هذا الطاغية ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ مهما طغيت وعلوت واستكبرت واستغنيت فإن مرجعك إلى الله ﷻ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ يعني أخبرني عن حال هذا الرجل الذي ينهى عبداً إذا صلى، ففي الآية (ناهي) وهو طاغية قريش أبو جهل، وكان يسمى أبا الحكم لأنهم يتحاكمون إليه ويرجعون إليه فاغتر بنفسه ومات على الكفر، و(منهي) وهو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قيل لأبي جهل: إن محمداً يصلي عند الكعبة أمام الناس، يفتنهم ويصدهم عن أصنامهم وآلهتهم، فمر به ذات يوم وهو ساجد فنهاه وقال:

= الدافق، تبقى في الرحم أربعين يوماً، ثم تتحول شيئاً فشيئاً وبتمام الأربعين تتقلب بالتطور والتدريج حتى تكون دماً علقة، ثم تبدأ بالنمو والثخونة وتتطور شيئاً فشيئاً، فإذا تمت ثمانين يوماً انتقلت إلى مضغة ـ قطعة من لحم بقدر ما يمضغه الإنسان ـ وتبقى كذلك أربعين يوماً فهذه مائة وعشرون يوماً، وهي بالأشهر أربعة أشهر، بعد أربعة أشهر يبعث الله إليه الملك الموكل بالأرحام، فينفخ فيه الروح، فتدخل الروح في الجسد بإذن الله ﷻ.

لقد نهيتك فلماذا تفعل؟ فانتهره النبي عليه الصلاة والسلام فرجع، ثم قيل لأبي جهل إنه مازال يصلي فقال: والله لئن رأيته لأطأن عنقه بقدمي ولأُعَفِّرَنَّ وجهه بالتراب، فرآه ذات يوم ساجداً تحت الكعبة وأقبل عليه يريد أن يبر بقسمه، فلما أقبل عليه وجد بينه وبينه خندقاً من النار وأهوالاً عظيمة، فنكص على عقبيه وعجز أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أخبرني إن كان هذا الساجد محمد ﷺ على الهدى فكيف تنهاه عنه؟ ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ أو أمر غيره بالتقوى؛ فهو صالح بنفسه مصلح لغيره ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ يرى المنهي ويرى الطاغية الذي ينهى، يرى سبحانه وتعالى علماً ورؤية، والمقصود من هذا بيان أن الله تعالى سيجازي كلّاً منهما بما يستحق إما في الدنيا، وإما في الدنيا والآخرة ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ للردع، أي لردعه عن فعله السيىء الذي كان يقوم به تجاه رسول الله ﷺ، أو بمعنى حقًّا ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ التقدير: والله لئن لم ينته لنأخذن بشدة من مقدم الرأس، والمراد ناصية أبي جهل، وقد أُخِذَ بناصيته في يوم بدر حين قتل، ويحتمل أن يُؤخذ بناصيته يوم القيامة فيقذف في النار كما قال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ﴾ موصوفة بالكذب، لأن ما يحصل من الكفار الذين يدعون أن مع الله ألهة أخرى، هو أكذب القول وأقبح الفعل ﴿خَاطِئَةٍ﴾ مرتكبة للخطأ والإثم عمدا، فالخاطىء من ارتكب الخطأ عمداً فهو غير معذور، والمخطىء من ارتكبه جهلاً فهو معذور ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ اللام للتحدي، يعني إن كان صادقاً وعنده قوة وقدرة فليدع ناديه، والنادي هو مجتمع القوم للتحدث بينهم والاستئناس بعضهم ببعض، وكان أبو جهل معظمًا في قريش وله نادي يجتمع

الناس إليه فيه ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ يعني عندنا مَنْ هم أعظم مِنْ نادي هذا الرجل، وهم الزبانية ملائكة النار، وقد وصفهم الله بأنهم غلاظ في الطباع، شداد في القوة ﴿كَلَّا﴾ للردع أو بمعنى حقا ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾ لا تطع هذا الذي ينهاك عن الصلاة، وهذا يعني أنه ﷻ سيدافع عنه ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾ المراد بالسجود هنا الصلاة ﴿ وَٱقۡتَرِب﴾ من الله ﷻ؛ لأن الساجد أقرب ما يكون من ربه كما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

تفسير سورة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير هنا يعود إلى الله ﷻ. وذَكَرَ الله تعالى نفسه بالعظمة ﴿إِنَّآ﴾ لأنه سبحانه وتعالى العظيم الذي لا شيء أعظم منه. والهاء في قوله ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعود إلى القرآن.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ معناها: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان. ومن العلماء من قال: القدر هو الشرف، ومنهم من قال: التقدير، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم وشرف كبير وأنه يُقَدَّر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ للتعظيم والتفخيم، أي ما أعلمك ليلة القدر وشأنها وشرفها وعظمها؟ ثم بين هذا بقوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ أي من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية ثواب العمل فيها، وما ينزل الله تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة.

ثم ذكر ما يحدث في تلك الليلة فقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تتنزل حتى تملأ الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ هو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه

وفضله ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي بكل أمر مما يأمرهم الله به، وهو مبهم لا نعلم ما هو، لكننا نقول إن تنزل الملائكة في الأرض عنوان على الخير والرحمة والبركة ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ وصفها الله تعالى بالسلام، لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها .﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي تتنزل الملائكة في هذه الليلة إلى مطلع الفجر، فإذا طلع الفجر انتهت ليلة القدر.

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، ولم يأت تحديد لها في ليلة معينة كل عام، فقد تكون في ليلة إحدى وعشرين، أو في ليلة الثلاثين، أو فيما بينهما، فهي في كل العشر، ولكن أرجاها ليلة سبع وعشرين. وإنما أبهمها الله ﷻ لفائدتين عظيمتين: الأولى: بيان الصادق في طلبها من المتكاسل. الثانية: كثرة ثواب المسلمين بكثرة الأعمال.

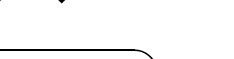

تفسير سورة البينة

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ما كان الكفار ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى، سموا بذلك لأن صحفهم بقيت إلى أن بُعث النبي ﷺ مع ما فيها من التحريف والتبديل والتغيير، فاليهود لهم التوراة، والنصارى لهم الإنجيل ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عبدة الأوثان من كل جنس، من بني إسرائيل ومن غيرهم ﴿مُنفَكِّينَ﴾ تاركين لما هم عليه من الشرك والكفر ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ البينة كل ما بان به الحق، ويكون في كل شيء بحسبه، فالبينة التي ذكرها الله هنا: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟﴾ يقرأ لنفسه وللناس ﴿صُحُفًا﴾ جمع صحيفة وهي ما يُكتب به ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ منقاة من الشرك ومن رذائل الأخلاق، لأنها نزيهة مقدسة ﴿فِيهَا﴾ في هذه الصحف

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مكتوبات قيمة من توحيد الله ﷻ، والثناء عليه، وحمده وتسبيحه، ووصف النبي ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، والأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج والأخلاق الفاضلة، تجد أن كل ما جاء به القرآن فهو قيم بنفسه، وكذلك هو مقيم لغيره ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ يعني لما جاءتهم البينة اختلفوا : فمن علم الله منه أنه يريد الخير ويريد الدين لله؛ آمن وَوُفِّقَ للإيمان، ومن لم يكن كذلك وُفِّقَ للكفر، كذلك أيضاً من المشركين من آمن، وما أكثر المشركين من قريش الذين آمنوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ سميت جهنم لبعد قعرها وسوادها، وعلى هذا فإن أهل الكتاب كفار وهم (اليهود والنصارى) حين لم يؤمنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن قالوا إنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر ويدعون لموتاهم بالرحمة وما أشبه ذلك من العبارات، لأن النبي ﷺ قد وُجِدَ وصفه في التوراة والإنجيل كما قال الله تعالى ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ . ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين هم شر الخلائق، وإذا كانوا هم شر البرية فلن نتوقع منهم إلا كل شر، ولا يمكن أبداً أن نحسن الظن بهم، قد نثق بالصادقين منهم كما وثق النبي بالمشرك عبدالله بن أريقط حين استأجره ليدله على طريق الهجرة، لكن غالبهم وجمهورهم لا يوثق منهم.

ولما ذكر الله حكم هؤلاء الكفار ذكر حكم المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ ثم بين جزاءهم، وقدم الله الثناء على المؤمنين الذين عملوا الصالحات على ذكر جزائهم، لأن ثناء الله عليهم أعظم مرتبة وأعلى منقبة. قال تعالى : ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

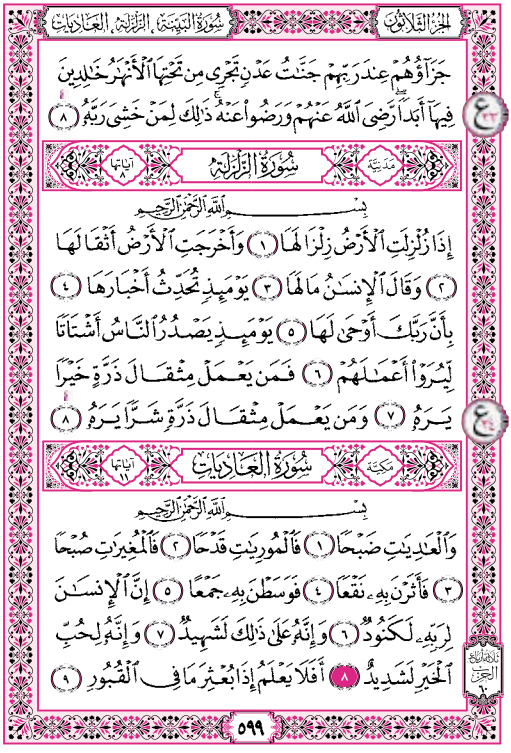

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ البَيِّنَةِ، الزَّلْزَلَةِ، العَادِيَاتِ

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ — مَدَنِيَّة — آيَاتُهَا ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

٥٩٩

﴿جَنَّٰتُ﴾ جَمَعَ جنات لاختلاف أنواعها، لأن النبي ﷺ قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»، ولا يمكن لإنسان في هذه الدنيا أن يتصور كيف نعيم الآخرة أبداً، لأنه أعلى وأجل مما نتصور ﴿عَدْنٍ﴾ العدن بمعنى الإقامة في المكان وعدم النزوح عنه، ومن تمام نعيم أهل الجنة أن كل واحد منهم لا يطلب تحولاً عما هو عليه من النعيم، لأنه لا يرى أن أحداً أكمل منه، ولا يحس في قلبه أنه في غضاضة بالنسبة لمن هو أرقى منه وأكمل، لأن الله قد أقنعهم بما أعطاهم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قال العلماء: من تحت قصورها وأشجارها وإلا فهي على سطحها وليس أسفل، أنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل مصفى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ماكثين فيها أبداً، لا يموتون، ولا يمرضون، ولا ييأسون، ولا يألمون، ولا يحزنون، ولا يمسهم فيها نصب، فهم في أكمل النعيم دائماً وأبداً ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ وهذا أكمل نعيم أن الله تعالى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط بعده

وَحُصِّلَ

أبداً. ثم قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ خشي الله ﷻ، والخشية هي خوف الله ﷻ المقرون بالهيبة والتعظيم، ولا يصدر ذلك إلا من عالم بالله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه.

تفسير سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ الزلزال العظيم الذي لم يكن مثله قط ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ المراد بهم: أصحاب القبور، يخرجون من قبورهم لرب العالمين ﷻ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ ما الذي حدث لها وما شأنها؟ لشدة الهول. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في ذلك اليوم ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تخبر عما فعل الناس عليها من خير أو شر ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ بسبب أن الله أذن لها في أن تحدث أخبارها، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ جماعات متفرقين، كل يتجه إلى مأواه، فأهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ يتجهون إليها، وأهل النار ـ والعياذ بالله ـ يساقون إليها ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يريهم الله تعالى أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شَّرا فشر، يرون الصغير والكبير إلا ما غفره الله من قَبْل بحسنات، أو دعاء أو ما أشبه ذلك فهذا يمحى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ يعني: أي إنسان يعمل وزن ذرة - وهو صغار النمل - فإنه سيراه، سواء من الخير أو من الشر، وليس المراد بالذرة الذرة المتعارف عليها اليوم، لأنها ليست معروفة في ذلك الوقت، والله ﷻ لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون.

وإنما ذكر الذرة لأنها مضرب المثل في القلة، ومن المعلوم أن من عمل ولو أدنى من الذرة فإنه سوف يجده.

وقوله تبارك وتعالى ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يفيد أن الذي يوزن هو العمل، لأن تقدير الآية: فمن يعمل عملاً مثقال ذرة، ولكن ربما يكون بعض الناس يوزن صحائف أعماله (كما في الحديث)، وبعض الناس يوزن هو بنفسه (كما في الحديث أيضا).[1]

تفسير سورة العاديات

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ أقسم الله تعالى بالخيل العاديات من العدو وهو سرعة المشي والانطلاق ﴿ضَبْحًا﴾ الضبح ما يسمع من أجواف الخيل حين تعدوا بسرعة، يكون لها صوت يخرج من صدورها يدل على قوة سعيها وشدته ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ لقوة سعيها وضربها الأرض، إذا ضربت الحجر ضرب الحجرُ الحجرَ الثاني ثم يقدح ناراً ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ تغير على عدوها في الصباح، وهذا أحسن ما يكون لأنه في غفلة ونوم، وكان النبي ﷺ لا يغير على قوم في الليل بل ينتظر فإذا أصبح إن سُمِعَ أذان كف وإلا أغار ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ أثرن بهذا العدو وهذه الإغارة ﴿نَقْعًا﴾ وهو الغبار الذي يثور من شدة السعي ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي توسطن بهذا الغبار ﴿جَمْعًا﴾ أي أنها لا تنتهي غايتها إلا وسط جموع

(١) ذكر الشيخ رحمه الله المسألة بأدلتها، فحذفت الأحاديث اختصارا وجعلت بدلها عبارة (كما في الحديث).

الجزء الثلاثون — سورة العاديات، القارعة، التكاثر

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ — مكية — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ — مكية — آياتها ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ
تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ
عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

٦٠٠

وَٱلۡعَصۡرِ

الأعداء. والمقسم عليه هو الإنسان ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾﴾ جنس الإنسان لولا هداية الله لكان كنوداً لربه عز وجل، أي كافرًا لنعمة الله عز وجل، لا يقوم بشكرها، ولا يقوم بطاعة الله، وما أكثر ما أفسد الغنى من بني آدم ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾﴾ أي أن الله تعالى يشهد على العبد بأنه كفور لنعمة الله، والإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله عز وجل ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ما من إنسان إلا ويحب المال، لكن الشدة تختلف، بعض الناس يحب المال الذي تقوم به الكفاية ويستغني به عن عباد الله، وبعض الناس يريد أكثر، وبعضهم يريد أوسع وأوسع.

ثم إن الله تعالى ذكَّر الإنسان حالاً لابد له منها فقال: ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ أفلا يتيقن إذا نُشر وأظهر الناس من قبورهم لرب العالمين، فيعمل لذلك ولا يكن همه المال ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ أي ما في القلوب من النيات، وأعمال القلب كالتوكل والرغبة والرهبة والخوف والرجاء وما أشبه ذلك. فالقلب هو

الذي سيكون الجزاء عليه يوم القيامة.

ومناسبة الآيتين أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما في الصدور مما تكنه، والتناسب بينهما ظاهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ أي إن الله ﷻ بالعباد لخبير. وعلق العلم بذلك اليوم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لأنه يوم الجزاء والحساب، وإلا فإن الله تعالى عليم خبير في ذلك اليوم وفيما قبله.

تفسير سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾﴾ من أسماء يوم القيامة، تقرع القلوب وتفزعها بعد قرع الأسماع، وذلك عند النفخ في الصور ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ استفهام للتعظيم والتفخيم يعني: ما هي القارعة التي ينوه عنها؟ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، يعني أي شيء أعلمك عن هذه القارعة؟ ما أعظمها وما أشدها.

ثم بين متى تكون؟ فقال جل وعلا: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ وذلك حين يخرج الناس من قبورهم، والفراش هو الطيور الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدي، وتتراكم وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى. و﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ المنتشر. ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ﴾ العظيمة الراسية الصلبة ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ كالصوف أو القطن المبعثر، فإنه يكون خفيفاً يتطاير مع أدنى ريح.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ وهو الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ حياة طيبة ليس فيها نكد ولا صخب، كاملة من كل وجه، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، لا يحزنون، ولا يخافون، في أنعم عيش، وأطيب بال، وأسر حال فهي عيشة مرضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليس له حسنة أصلاً كالكافر؛ لأن حسنات الكافر يُجازى بها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ الهاوية من أسماء النار والمعنى أنه يرمى في النار على أم رأسه، وأيضاً ليس له مأوى ولا مقصد إلا النار، نسأل الله السلامة.

وفي الآية دليل على أن يوم القيامة فيه موازين، والأظهر ـ والله أعلم أنه ميزان واحد ـ لكنه جُمِعَ باعتبار الموزون على حسب الأعمال أو الأمم أو الأفراد.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ تفخيم والتعظيم لهذه الهاوية ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ في غاية ما يكون من الحمو، قال عليه الصلاة والسلام: «إنها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً».

والإنسان إذا تساوت حسناته وسيئاته فإنه قد سكت عنه في هذه الآية، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار وإنما يحبسون في مكان يقال له الأعراف، وذكر ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين[1].

(١) انظر الآيات (٤٦ - ٤٩) من سورة الأعراف.

تفسير سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ أي شغلكم التكاثر بالمال والتكاثر بالقبيلة والتكاثر بالجاه والتكاثر بالعلم - وبكل ما يمكن أن يقع فيه التفاخر - حتى لهوتم عن ما هو أهم وما خلقتم له من ذكر الله تعالى والقيام بعبادته.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ أي: تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متم. سمع بعض الأعراب: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فقال: «والله ما الزائر بمقيم والله لنبعثن»، لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع[1].

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ﴿كَلَّا﴾ يعني: ارتدعوا عن هذا التكاثر، وقيل: بمعنى حقًّا، سوف تعلمون عاقبة أمركم إذا رجعتم إلى الآخرة، وأن هذا التكاثر لا ينفعكم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ تأكيد للردع مرة ثانية ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ حقًّا لو تعلمون علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال وفي خطأ عظيم، ولكنكم لا تعلمون، لأنكم لاهون في هذه الدنيا. ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ التقدير: والله لترون الجحيم. والجحيم اسم من أسماء النار ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ تأكيد لرؤيتها، تُرى يوم القيامة يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، والملائكة عظام شداد فما ظنك بهذه النار أعاذنا الله منها ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك الوقت وفي ذلك الموقف العظيم ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ المؤمن والكافر كُلٌّ يُسأل، لكن الكافر يُسأل سؤال توبيخ

---

(١) وما يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها عن الرجل إذا مات: «انتقل إلى مثواه الأخير» كلام باطل؛ لأن القبور ليس هي المثوى الخير، المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة (قاله الشخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

وتقريع وتنديم، والمؤمن يُسأل سؤال تذكير بنعمة الله ﷻ عليه حتى يفرح ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا يُنعم عليه في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد».

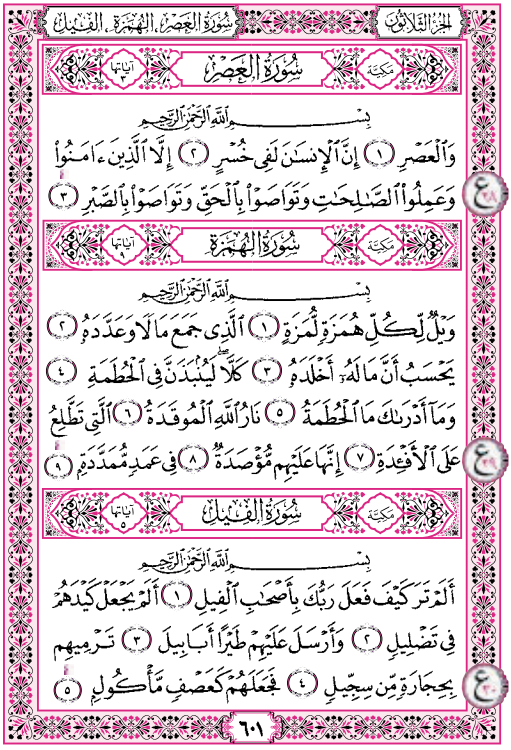

الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ — سُورَةُ العَصْرِ، الهُمَزَةِ، الفِيلِ

سُورَةُ العَصْرِ — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ — مَكِّيَّة — آيَاتُهَا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾

٦٠١

لِإِيلَٰفِ

تفسير سورة العصر

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾﴾ وهو الزمان. أقسم الله به لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب. أقسم الله به على قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾﴾ كل إنسان في خسران ونقصان في كل أحواله، في الدنيا وفي الآخرة إلا من استثنى الله ﷻ. وقوله ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾ أبلغ من قوله لخاسر، فكأن الإنسان منغمس في الخُسرِ والخُسرانُ محيط به من كل جانب.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾. استثنى الله سبحانه وتعالى هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع:

الصفة الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تردد بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

الصفة الثانية: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من صلاة، وزكاة، وصيام،

وحج، وبر للوالدين، وصلة الأرحام وغير ذلك. والعمل الصالح ما جمع وصفين: الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة للرسول ﷺ.

الصفة الثالثة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ بالشرع، يوصي كل واحد منهم الآخر إذا رآه مفرطاً في واجب أو فاعلاً لمحرم، فهم نفعوا أنفسهم وغيرهم.

الصفة الرابعة: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ يوصي بعضهم بعضاً:

بالصبر (على طاعة الله) لأن أكثر عباد الله تجد أن العبادات عليهم ثقيلة كالصلاة مع الجماعة وزكاة ماله- فيتواصون بالصبر على الطاعة.

والصبر (عن محارم الله) كالأكساب المحرمة بالربا أوالغش والتدليس أو بغير ذلك، أو النظر إلى النساء، فيقال له: اصبر نفسك عن هذا الشيء.

والصبر (على أقدار الله) كمرض في بدنه، أو فقد شيء من ماله، أو فقد أحبته، فيتواصون فيما بينهم: اصبر يا أخي - هذا أمر مقدر والجزع لا يفيد شيئاً - واستمرار الحزن لا يرفع الحزن - قَدِّرْ أن هذا الابن لم يُخلق - الأمر كله لله - «إن لله ما أخذ وله ما أعطى» فإذا أخذ الله تعالى ملكه كيف تعتب على ربك؟ كيف تتسخط؟.

تفسير سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة وعيد ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الذي يعيب الناس بفعله كأن يلوي وجهه أو يعبس أو بالإشارة ﴿لُّمَزَةٍ﴾ الذي يعيب الناس بقوله.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ أكثر تعداده لشدة شغفه ومحبته له، يخشى أن يكون نقص أو يريد أن يطمئن، وهو يعرف أنه لم يأخذ منه شيئاً

ولم يضف إليه شيئاً.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ يظن أن ماله أخلد ذكره أو أطال عمره، والأمر ليس كذلك، فإن أهل الأموال إذا لم يُعرفوا بالبذل والكرم فإنهم يخلدون لكن بالذكر السيىء.

﴿كَلَّا﴾ حرف ردع لهذا القائل أو هذا الحاسب، ويحتمل أن تكون بمعنى حقًّا «يعني حقاً لينبذن» وكلاهما صحيح.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ التقدير «والله لينبذن في الحطمة» أي: يطرح طرحاً. والله تعالى يقسم بالشيء تأكيداً له وتعظيماً لشأنه. والحطمة هي التي تحطم الشيء فتفتته وتكسره ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ وهذه الصيغة للتعظيم والتفخيم ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ المسجّرة المسعرة. وأضافها الله سبحانه وتعالى إلى نفسه؛ لأنه يعذب بها من يستحق العذاب، فهي عقوبة عدل وليست عقوبة ظلم.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ تصل إلى القلوب ـ والعياذ بالله ـ من شدة حرارتها، مع أن القلوب مكنونة في الصدور وبينها وبين الجلد الظاهر ما بينها.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ أي نار الله الموقدة على الهمَّاز اللمَّاز الجمَّاع للمال المناع للخير ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة الأبواب ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ عليها أعمدة ممدودة على جميع النواحي والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها والخروج منها.

تفسير سورة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ يخاطب الله تعالى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو يخاطب كل من يصح توجيه الخطاب إليه بما فعل سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل الذين جاؤوا بفيل عظيم لهدم الكعبة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت وتغوَّط فيه ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده، فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله سبحانه حافظ بيته، فلما وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس وقف الفيل وأبى أن يتجه إلى الكعبة، فإذا وجهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات الله ﷻ، ثم بقوا حتى أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. وهكذا كل من أراد الحق بسوء فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ يعني: جماعات متفرقة، كل طير في منقاره حجر صلب ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ وهو الطين المشوي؛ لأنه يكون أصلب، وهذا الحجر ليس كبيراً، بل هو صغير يُضرب الواحد من هؤلاء مع رأسه ويخرج من دبره ـ والعياذ بالله ـ. ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ أي: كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت.

وإنما حمى الله ﷻ الكعبة عن هذا الفيل مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلَّط عليها رجل من الحبشة يهدمها حجراً حجراً حتى تتساوى بالأرض؛ لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي يكون فيها تعظيم البيت. أما في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم ولم يعرفوا قدره؛ حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض.

.

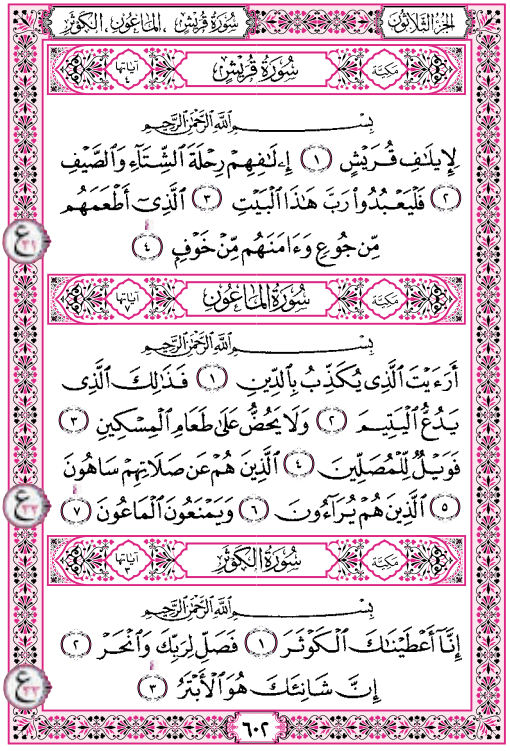

تفسير سورة قريش

هذه السورة لها صلة بالسورة التي قبلها، إذ أن السورة التي قبلها فيها بيان منة الله ﷻ على أهل مكة بما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة، فبين الله في هذه السورة نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة، وهو إيلافهم مرتين في السنة، مرة في الصيف ومرة في الشتاء.

الجزء الثلاثون — سورة قريش، الماعون، الكوثر

سُورَةُ قُرَيْشٍ — مكية — آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤

سُورَةُ المَاعُونِ — مكية — آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧

سُورَةُ الكَوْثَرِ — مكية — آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣

٦٠٢

قُلْ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ والإلف بمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، ولأن الجو مناسب، ومرة في الصيف، فيتجهون إلى الشام لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناسبة الجو البارد ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ شكراً له على هذه النعمة، أي بسبب هاتين الرحلتين ليعبدوا رب هذا البيت. والعبادة هي التذلل لله ﷻ بالسمع والطاعة على وجه المحبة والتعظيم، فبالمحبة يقوم الإنسان بفعل الأوامر، وبالتعظيم يترك النواهي

خوفاً من هذا العظيم ﷻ. وقوله: ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ يعني به الكعبة المعظمة، وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾ بين الله نعمته الظاهرة والباطنة عليهم، فـ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ وقاية من الخوف في الأمر الظاهر، إذا كانت البلاد محوطة بالعدو، وخاف أهلها وامتنعوا عن الخروج، فذَكَّرَهم الله بهذه النعمة.

وآمن مكان في الأرض هو مكة، ولذلك لا يُقطع شجرها، ولا يُحش حشيشها، ولا تُلتقط ساقطتها، ولا يصاد صيدها، ولا يسفك فيها دم، وهذه الخصائص لا توجد في البلاد الأخرى حتى المدينة.

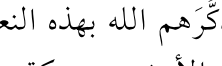

تفسير سورة الماعون

الخطاب للرسول ﷺ و هو عام لكل من يتوجه إليه الخطاب ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ بالجزاء، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ فجمع بين أمرين: **الأول**: عدم الرحمة بالأيتام الذين هم محل الشفقة والرحمة؛ لانكسار قلوبهم بفقدهم آبائهم، لكن هذا ـ والعياذ بالله ـ ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بشدة ويحتقره فلا يرحمه .**الثاني**: لا يحثون على رحمة الغير كالمسكين فلا يحض على إطعامه؛ إذاً ليس فيه رحمة لا للأيتام ولا للمساكين، فهو قاسي القلب.

﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة وعيد شديد ﴿لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ

سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ يصلون لكنهم عن صلاتهم غافلون، لا يقيمونها على ما ينبغي - يؤخرونها عن الوقت، لا يقيمون ركوعها ولا سجودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة سواء كانت قرآناً أو ذكراً، إذا دخل في صلاته هو غافل، قلبه يتجول يميناً وشمالاً، فهو ساهٍ عن صلاته متعمد للتهاون في صلاته. ومن السهو عن الصلاة أولئك الذين يَدَعُونَ الصلاة مع الجماعة فيدخلون في هذا الوعيد.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ إذا فعلوا الطاعة يقصدون بها التزلف إلى الناس، وأن يكون لهم قيمة في المجتمع، ليس قصدهم التقرب إلى الله ﷻ، يتصدق من أجل أن يقال ما أكرمه، يحسن صلاته من أجل أن يقال ما أحسن صلاته وما أشبه ذلك، يريدون أن يحمدهم الناس عليها، ويتقربون إلى الناس بتقربهم إلى الله، هؤلاء هم المراءون - وهذا يقع كثيراً في المنافقين -. والذين يسمّعون مثلهم، يعني يقرأ قرآنًا ويحسن القراءة والأداء والصوت ليقال ما أقرأه، كما جاء في الحديث: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به» المعنى: من سمّع فضحه الله وبيّن للناس أنه ليس مخلصاً ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحوه على عبادته، ومن راءى كذلك راءى الله به، وسوف يتبين أمره إن عاجلاً أم آجلاً .﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ يمنعون ما يجب بذله، يأتي الإنسان إليهم يستعير إناء أو مصباحَ كهرباء وما أشبه ذلك، فيمنع.

فما وجب بذله فإن الإنسان يأثم بمنعه كمضطر يقول: أعطني ماءً أشربه، فإن لم أشرب مت، حتى إن بعض العلماء يقول: لو مات فإنه يضمنه بالدية، لأنه هو سبب موته. وما لم يجب بذله لا يأثم به، لكن يفوته الخير.

تفسير سورة الكوثر

يقول الله ﷻ مخاطباً النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ أي خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة. ومن ذلك: النهر العظيم الذي في الجنة والذي يصبّ منه ميزابان على حوضه المورود صلى الله عليه وسلم، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى مذاقاً من العسل، وأطيب رائحة من المسك، وهذا الحوض في عرصات القيامة يَرِدُه المؤمنون من أمة النبي ﷺ، وآنيته كنجوم السماء كثرة وحسناً، فمن كان وارداً على شريعته في الدنيا كان وارداً على حوضه في الآخرة. ومن الخير الذي أعطيه في الآخرة: المقام المحمود ومنه الشفاعة العظمى. فالنهر الذي في الجنة هو الكوثر لكنه ليس هو فقط الذي أعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الخير.

ولما ذكر مِنَّته عليه بهذا الخير الكثير قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ انحر الإبل تقربا إلى الله وشكراً له على هذه النعمة العظيمة.

وأول ما يدخل في الآية الصلاة المقرونة بالنحر وهي صلاة عيد الأضحى.

والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر الإبل لأنها أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين.

والأمر في الآية أمر له وللأمة، فعلينا أن نخلص الصلاة لله، وأن نخلص النحر لله كما أُمر بذلك نبينا ﷺ.

ثم قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ هو الأقطع المنقطع من كل خير، وذلك أن كفار قريش يقولون: محمد أبتر، لا خير

فيه ولا بركة فيه ولا في اتباعه، ولما مات ابنه القاسم قالوا: محمد أبتر، لا يولد له، ولو ولد له فهو مقطوع النسل. فبين الله ﷻ أن الأبتر هو مبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو المقطوع عن كل خير، الذي ليس فيه بركة، وحياته ندامة عليه. وإذا كان هذا في مبغضه فهو أيضاً في مبغض شرعه أو شعيرة من شعائر الإسلام؛ فإنه كافر لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩]. ولا حبوط للعمل إلا بالكفر، لكن من استثقلها مع عدم الكراهة فهذا فيه خصلة من خصال النفاق.

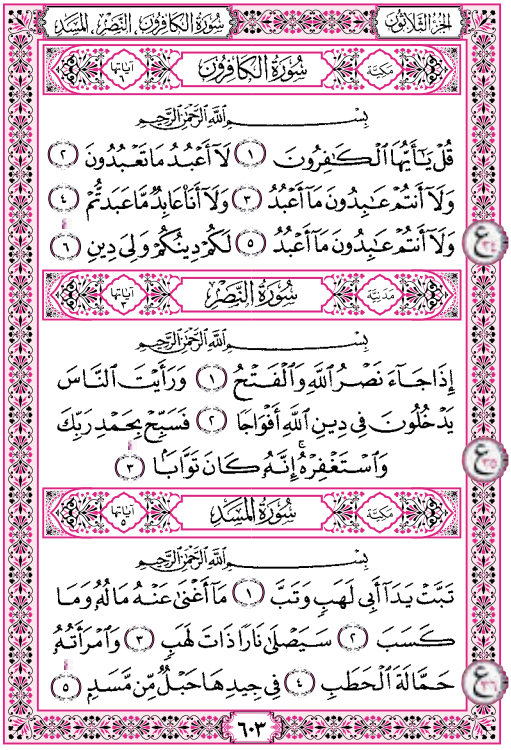

قُلْ

تفسير سورة الكافرون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ يشمل كل كافر سواء كان من المشركين أو اليهود أو النصارى أو الشيوعيين أو من غيرهم ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ لا أعبد الذين تعبدونهم وهم الأصنام ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ وهو الله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾ ولن أقبل عبادتكم ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ وأنتم كذلك لن تقبلوا.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه وتدينون به ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ ولي ديني، فأنا بريء من دينكم، وأنتم بريؤون من ديني.

تفسير سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إياك على عدوك ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ فتح مكة،

والخطاب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسببه أن النبي ﷺ لما صالح قريشًا في الحديبية في السنة السادسة، نقضت قريش العهد فغزاهم النبي ﷺ وخرج إليهم من المدينة مختفيا بنحو عشرة آلاف مقاتل وقال: «اللهم عمي أخبارنا عنهم» فلم يفاجئهم إلا وهو محيط بهم ودخل مكة في العشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة منصوراً مؤيداً، ولما حَصَلَ عرف الناس جميعاً أن العاقبة لمحمد ﷺ، فصار الناس ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعات بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً، ولا يدخل فيه الإنسان في بعض الأحوال إلا مختفياً، وصارت الوفود تَرِدُ على النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة من كل جانب حتى سُمِّيَ العام التاسع (عام الوفود).

يقول الله ﷻ: إذا رأيت هذه العلامة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ كان المتوقع أن يكون الجواب فاشكر الله على هذه النعمة واحمد الله عليها، ولكن عند التأمل تتبين الحكمة، فالمعنى أنه إذا جاء نصر الله والفتح فقد قرب أجلك وما بقي عليك إلا التسبيح بحمد ربك والاستغفار ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي تسبيحاً مقروناً بالحمد. والتسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله، والحمد: هو الثناء عليه بالكمال مع المحبة والتعظيم .﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ اسأله المغفرة وهي ستر الله تعالى على عبده ذنوبه مع محوها والتجاوز عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: لم يزل ﷻ تواباً على عباده، فإذا استغفرته تاب عليك.

لما نزلت هذه السورة جعل رسول الله ﷺ - الذي هو أشد الناس عبادة لله وأتقاهم - يُكْثِر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

تفسير سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ هذا رد على أبي لهب حين جمعهم النبي ﷺ ليدعوهم إلى الله فبشر وأنذر، فقال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا، يعني هذا أمر حقير لا يحتاج أن يُجمع له زعماء قريش، فرد الله عليه بهذه السورة.

والتباب الخسار، وبدأ بيديه قبل ذاته؛ لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة والأخذ والعطاء وما أشبه ذلك.

وهذا اللقب أبو لهب، لقب مناسب تماماً لحاله ومآله، لأنه سوف يكون في نار تتلظى لهباً عظيماً ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ أي شيء أغنى عنه ماله وما كسب؟ والجواب: لا شيء، ويحتمل أن تكون: لم يغنِ عنه ماله وما كسب شيئاً، مع أن العادة أن المال ينفع، لكن النفع الذي لا ينجي صاحبه من النار، ليس بنفع. ولهذا قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ يعني من الله شيئاً ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ من الولد. وتشمل الآية المال المكتسب الذي ليس في يده الآن، وتشمل ما كسبه من شرف وجاه، كل ما كسبه فإنه لا يُغني عنه شيئاً ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ عن قريب؛ لأن البقاء في الدنيا مهما طال فإن الآخرة قريبة، حتى الناس في البرزخ وإن مرت عليهم السنين الطوال فكأنها ساعة ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ وهي امرأة من أشراف قريش لكن لم يغنِ عنها شرفها شيئاً لكونها شاركت زوجها في العداء والإثم والبقاء على الكفر.

وقوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ يعني وامرأته حال كونها حمالة الحطب، أو أذم حمالة الحطب. وحمالة أي تحمله بكثرة، وذكروا

أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ من ليف، يعني أنها متقلدة حبلاً من الليف تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ، وهو إشارة إلى دنو نظرتها وإهانتها لنفسها من أجل أذية الرسول عليه الصلاة والسلام.

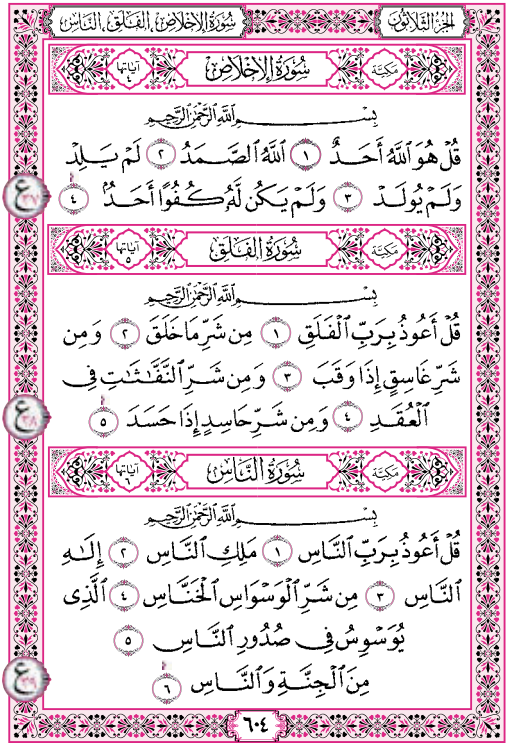

تفسير سورة الإخلاص

هذه السورة مبنية على الإخلاص التام لله، ولهذا تسمى سورة الإخلاص.

ذُكر في سبب نزول هذه السورة أن المشركين أو اليهود قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة.

﴿قُلْ﴾ الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وللأمة أيضاً ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي ليس له مثيل ولا شريك ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ الكامل في صفاته، فهو مستغنٍ عن جميع المخلوقات، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه جل وعلا لا مثيل له، ولأن الولد يحتاج إلى صاحبة تلده، والله ﴿لم تكن له صاحبة﴾ [الأنعام: ١٠١]، ولأن الولد إنما يكون للحاجة إليه في المعونة على مكابدة الدنيا وبقاء النسل، والله ﷻ مستغنٍ عن ذلك.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون القائلون بأن الملائكة بنات الله، واليهود القائلون بأن

عُزيرا ابن الله، والنصارى القائلون بأن المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: لم يلد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟! ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ أي لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته.

تفسير سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ من شر جميع المخلوقات، شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك، حتى من شرور أنفسنا ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ الليل، والليل تكثر فيه الهوام والوحوش، فلذلك استعاذ من شره ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ هن الساحرات يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر في المسحور.

وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات فيشمل الرجال والنساء.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره فيحسده فيموت المحسود أو يمرض أو يجن، وربما يصيب

الجزء الثلاثون — سورة الإخلاص، الفلق، الناس

سُورَةُ الإِخْلَاصِ — مكية — آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ — مكية — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ — مكية — آياتها ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

٦٠٤

السيارة فتتعطل، فالعين حق تصيب بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًّا وإلا فهي داخلة في قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾.

والطريق للتخلص من هذه الشرور أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل على الله، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها ويقرأها بقلب حاضر.

تفسير سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ رب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ أي الملك الذي له السلطة العليا والتصرف الكامل في الناس ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ أي مألوههم ومعبودهم

الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه ﷻ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ الموسوس ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الشيطان، ينهزم ويولي عند ذكر الله ﷻ كالأذان وغيره ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ الوسوسة هي ما يلقى في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات التي لا حقيقة لها ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ فالوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم الذين يزينون في قلب الإنسان الشر حتى ينصرف إليه.

كلمة الختام

قال العلامة الفقيه المفسر العالم الرباني محمد بن صالح العثيمين رحمه الله رحمة واسعة بعد انتهائه من تفسير إحدى سور هذا الجزء المبارك :

«وما نقوله نحن أو غيرنا من أهل العلم فإنه لا يستوعب ما دل عليه القرآن من المعاني العظيمة، نسأل الله أن يرزقنا الفهم في دين الله، والعمل بما علمنا إنه على كل شيء قدير».

قال المختصر :

ونحن نشهد أن الله تعالى قد رزقه فهما في دينه وعملا بعلمه لأجل ما نراه من بركة كتبه ومصنفاته، وسهولة عباراته، وجميل معلوماته، وتخليدٍ لمآثره ومؤلفاته وتسجيلاته، كذا نحسبه، والله حسيبه، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد فرغت من اختصاره قبل سنتين وأربعة أشهر، وذلك في يوم الأربعاء ٣٠ ربيع الأول عام ١٤٣٣هـ الموافق ٢٢/ ٢/ ٢٠١٢م في إحدى مدن المملكة العربية السعودية، ودعوت الله جل وعلا وقتها بأن يعين على طباعته وتوزيعه بالمجان لينتفع به العباد، وأقول - عرفانا وامتنانا وتحدثا بنعمة الله جل وعلا علي-: قد قر الله العين وشرح النفس بإجابته الكريمة للدعاء، وذلك محض فضله ومنته، فله الحمد والشكر، فسخر جمعية السلام والصديق التعاونية لطباعته ونشره، فلمجلس إدارتها الموقر جزيل الشكر وخالص الدعاء، والله أسأل أن يكتب الأجر للمفسر

والمختصر والناشر والقارئ، وأن يثقل به الموازين، يوم لا كِفة راجحة إلا كفة الأعمال الصالحة، وأرجو أن يكون هذا العمل منها، والحمدلله حمدا كثيرا.

محمد الملا الجفيري

١٤ يـونـيـو ٢٠١٤م

قائمة المحتويات

مقدمة ٥
تفسير سورة الفاتحة ١١
تفسير سورة النبأ ١٤
تفسير سورة النازعات ٢٠
تفسير سورة عبس ٢٦
تفسير سورة التكوير ٣٠
تفسير سورة الانفطار ٣٤
تفسير المطففين ٣٦
تفسير سورة الانشقاق ٤٠
تفسير سورة البروج ٤٤
تفسير سورة الطارق ٤٩
تفسير سورة الأعلى ٥٢
تفسير سورة الغاشية ٥٦
تفسير سورة الفجر ٦١
تفسير سورة البلد ٦٧
تفسير سورة الشمس ٧٠
تفسير سورة الليل ٧٢
تفسير سورة الضحى ٧٥
تفسير سورة الشرح ٧٧
تفسير سورة التين ٧٩
تفسير سورة العلق ٨٠
تفسير سورة القدر ٨٥
تفسير سورة البينة ٨٦

تفسير سورة الزلزلة ٨٩
تفسير سورة العاديات ٩٠
تفسير سورة القارعة ٩٢
تفسير سورة التكاثر ٩٤
تفسير سورة العصر ٩٦
تفسير سورة الهمزة ٩٧
تفسير سورة الفيل ٩٩
تفسير سورة قريش ١٠١
تفسير سورة الماعون ١٠٢
تفسير سورة الكوثر ١٠٤
تفسير سورة الكافرون ١٠٦
تفسير سورة النصر ١٠٦
تفسير سورة المسد ١٠٨
تفسير سورة الإخلاص ١١٠
تفسير سورة الفلق ١١١
تفسير سورة الناس ١١٢
كلمة الختام ١١٤
فهرس المحتويات ١١٧

تم الإخراج بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع - الكويت
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - ٢٤٨٤٤٧٤٣ فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥
بدالة المطبوعات ٢٤٨١٠٠١٠ - الكويت